بسم الله الرحمن الرحيم

د/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١٧ / ٦ / ١٤٤٦هـ

الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكَلِم ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار الذين تعلّموا العلم فعلِموه وعملُوا به وعلَّموه وصبروا على تعليمه واحتسبوا، وبعد: فهذه وصايا من عبد العزيز بن محمد بن عبدالله السدحان إلى فضيلة الشيخ ... حفظه الله تعالى بعد أن عَيّنَهُ ولي الأمر حفظه الله تعالى إماماً للحرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فضيلة الشيخ ... حفظك الله تعالى ورعاك ووفقك لما يحبه ويرضاه،،، آمين وبعد:

فمن سَنَن أهل العلم والمعرفة، وصية بعضهم بعضاً، تلك الوصايا تارة تكون مكاتبة وتارة تكون مشافهة، وقد حفظت دواوين التاريخ وخاصة كتب التراجم، نماذج رفيعة ونفيسة، لوصايا ومراسلات أولئك الأئمة، من تصفّحها وتأمل فيها، رأى أدباً وعلماً ومحبةً ونصحاً ناهيك عن بلاغة وجزالة وسهولة أسلوبها ووضوح معناها ومقصودها وكل ذلك محاط بسياج الأخوّة والمحبة وصادق النصح والمودة، ومن أمثلة تلك الوصايا والرسائل من باب المثال لا من باب الحصر:

١ / وصية مالك للشافعي.

٢ / وصية الشافعي للربيع.

٣/ وصية الباجي لولديه.

٤ / رسالة الليث بن سعد إلى مالك.

٥ / رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.

إلى غير من تلك الرسائل والوصايا. فرحم الله تعالى أولئك الأئمة الذين نفخر ونفاخر بهم وبإخوانهم العلماء، كما تفخر وتتشرّف بهم كتب تواريخ البلدان والأزمان.

المملكة العربية السعودية – الرياض - جوال:٠٥٠٥٤٦٩٩٤٦ alalsadhan7@gmail.com

ومن هذا المنطلق **فضيلة الشيخ**: حرصت على سلوك هذا المسلك، فسلوك طويلب العلم درب العلماء من باب التشبّه ببعض صفاتهم، لعل الله تعالى أن ينفعه حتى ينشط في طلب العلم فيستفيد ويفيد.

وبادئ بدء: الله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلك مباركًا أينما كنت، ومن باب المحبة لشخصك الكريم، وأيضاً علمي إن شاء الله تعالى لمحبتك وسعة صدرك لسماع وصايا من محبٍّ لك، فشكر الله لك على هذه الصفة الحميدة، بعد هذا آن الأوان في سياق تلك الوصايا، سائلاً الله تعالى أن ينفع بها كاتبها والمكتوب إليه ومن بلغ.

الوصية الأولى/ فضيلة الشيخ: منصب الإمامة في الحرم من أعظم وأكبر المناصب الشرعية، ولو كان هذا المنصب يُشْتَرَى لتسابق كثير من الناس إلى شرائه. ولو كان يلتقط لتبادروا إلى التقاطه، ولكنه منحة ربانية وعطية إلهية يتفضل الله تعالى بها على من شاء من عباده، وقد وهبك الله تعالى إياه، ورفعك الله تعالى إلى هذا المنصب، وله زكاة، فإذا كانت زكاة المال ربع عشره، وزكاة الزرع ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾، فزكاة هذا المنصب توظيفه في تعظيم التوحيد والسُنّة.

فضيلة الشيخ أنت الآن تؤم المسلمين في أفضل وأشرف وأكبر مسجد على الأرض فاستشعر رعاك الله تعالى عظم المسؤولية والأمانة وأكثر من دعاء الله تعالى أن يعينك ويوفقك لسداد القول وصلاح العمل. الله تعالى أسأل لك التوفيق والسداد.

الوصية الثانية/ فضيلة الشيخ مثل هذا المنصب يفرح لصاحبه المحبون ويدعون له بالتوفيق وفي المقابل لا يسلم صاحبه من حاسد وشامت أو غيور غيرة مذمومة، فأما المحبون فنعمة من الله تعالى فاشكرها، وأمّا الحاسدون والشامتون والغيورون فبلوى فاحتسبها، ولا يخفاك رعاك الله تعالى ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾، ومن أحسن أنواع التعامل مع أولئك: الدعاء لهم بالهداية والتوفيق، فتفطّن لهذا بورك فيك، وكن عوناً لهم على الشيطان وأعاذك الله تعالى أن تكون عوناً للشيطان عليهم.

شاهد المقال في هذا المقام: [أطع الله تعالى فيمن عصاه فيك]، فلزوم هذا المسلك يُكسِبُ صاحبه بفضل الله تعالى اطمئناناً في القلب وانشراحاً في الصدر وقرّةً في العين ومحبة وقبولاً بين الناس، جعلك تعالى من أهل تلك الصفات.

الوصية الثالثة/ فضيلة الشيخ إمام الحرم لا زال وسيزال مؤثِّراً وقدوة، يحاكيه كثير من الناس في صفة صلاته بحكم مكانة الحرم في نفوس المسلمين، فأوصيك جعلك الله مسدداً موفّقاً بتحرّي السُنّة في الصلاة مستشعراً ومتمثّلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، فاحرص بورك فيك على ذلك، وخاصة في إعطاء الركعة حظَّها من الركوع والسجود.

الوصية الرابعة/ أوصيك بإحياء سُنّة قراءة سورتي (السجدة والإنسان) في صلاة فجر يوم الجمعة. فهذه السُنّة كادت أن تغيب عن كثير من المساجد، ومن حجج بعض الأئمة الكسالى قولهم: لم نسمع ذلك في الحرم، ولقولهم حظ من النظر في الأغلب والأكثر. فحبذا من عنايتك بذلك، فلعلك تكون سبباً في إحيائها كثيراً، وفي المقابل فإنّ بعض المأمومين سيكفّون عن نقدهم بدعوى التطويل لأولئك القليل من الأئمة الذين يقرئونها، إذا اشتُهِرَ أنَّ أئمة الحرمين يقرئونها أحياناً. ومما أذكره ولا أنساه: ثناء شيخي صالح البليهي في مفتتح درسه بعد صلاة فجر الجمعة في رمضان في الحرم على الشيخ علي جابر عندما قرأ بسورتي السجدة والدهر، ومضمون ومعنى كلامه: جزى الله أمامنا خيرًا على إحياء هذه السنة التي هجرها كثير من الأئمة، رحم الله تعالى الشيخين صالحاً وعلياً.

فوائد:

١ -جاءت زيادة في حديث قراءة السجدة والدهر، ونصُّها "وكان يديم ذلك" والمراد أنه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على قراءتهما، ولكن إسنادها ضعيف.

٢ -قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: يقرأ السورتين (السجدة والإنسان) كاملتين في فجر كل يوم جمعة ويُديم ذلك إلا يسيرًا يعني مثلاً في الشهر مرة يقرأ بغيرهما في فجر يوم الجمعة لئلا يظن الناس أنه يجب أن يقرأ بهما في فجر يوم الجمعة كاملتين.

٣-ذكر فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل رحمه الله تعالى عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى، أنه سُئِلَ عن صلاة فجر الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة في الحرم، هل يُخَفِّف على الناس أو يقرأ بسورتي السجدة والإنسان؟ فقال الشيخ محمد: يقرأ بالسجدة والإنسان حتى يرجع الناس لبلادهم بالسُّنَّة.

٤ -من سوء الفهم: قراءة بعض الأئمة - عوضاً عن سورة السجدة -آيات فيها سجدة، بزعمه أنها تقوم مقام سورة السجدة، ومما يحسن ذكره في هذا المقام، قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ولا يستحب أن يقرأ بسورة فيها سجدة أخرى باتفاق الأئمة فليس الاستحباب؛ لأجل السجدة، بل سورة السجدة جاءت اتفاقاً).

٥-**فضيلة الشيخ**، انطلاقاً من قول الإمام العراقي رحمه الله تعالى في ألفيته:

[واستحسن الإنشاد في الأواخر ::: بعد الحكايات مع النوادر]

إليك هذه النادرة اللطيفة: جاء في المجلد الثالث ص ٨ في الحاشية من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ما نصّه:(جاء إلينا إمام أهل قرية وسألنا عن صلاتهم وهو أنهم صلوا الجمعة يوم الخميس فلما كان آخر وقت الجمعة علموا أنه الجمعة وأن صلاتهم أمس الخميس غلط ومع ذلك ما اهتدوا كيف يفعلون، وسببه أنّ الإمام قرأ (تنزيل وهل أتى) فجر يوم الخميس.

الوصية الخامسة/ إذا تمَّ تعيينك خطيباً، فسترتقي كذلك أفضل وأشرف وأعظم منبر في العالم، وإن كنت في الحرم النبوي فمنبره هو المنبر الثاني بعد الحرم المكي، فاحرص رعاك الله تعالى على العناية بشأن التوحيد وربط مواضيع الخطب كلها بتوحيد الله تعالى وتعظيم شأنه وكذا بيان مذهب أهل السنة والجماعة بإسلوب فيه حث وترغيب، سواء كانت الخطب: عبادات أو معاملات أو سلوكيات أو تربويات أو غير ذلك وعرض مسائله بأسلوب سهل واضح، يجعل السامع يعظِّم شأن التوحيد ويزيد حباً له وتمثُّلاً به ودعوة إليه، ولو لم يكن لك إلا هذا العمل في جميع إمامتك وخطابتك في الحرم لكان ذلك كافياً وكيف لا يكون كذلك وهو من عظائم الدنيا أثراً ومن عظائم الآخرة أجراً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله

صلى الله عليه وسلم.. وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم - والدعوة إلى غير الله)، فاحرص **يا شيخ** على تجنّب كثرة السجع في الخطب فإنها مكروهة شرعاً وثقيلة سمعاً وتجنّب أيضاً غامض الكلمات وما لا يجري كثيراً على ألسنة الناس وعليك بالكلام السهل الواضح، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم: (كان يتكلّمُ بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه)، وعليك رعاك الله تعالى بمراعاة قصر وقت الخطبة طمعاً لموافقة السُنّة، وظني بالله ثم بك أن تكون خطبك مميزةً بمحتواها متميزةً عن غيرها. وأحسب أنك من أصحاب هذا الأسلوب زادك الله سدادًا في القول وتوفيقاً في العمل، كما أسأل الله تعالى أن تكون خطبك وقنوتك لسان صدق لك في نشر العلم، وإفادة الناس.

الوصية السادسة/ أوصيك **فضيلة الشيخ** بإحياء سُنَّة قراءة سورة ﴿ق﴾ على المنبر يوم الجمعة، ولا يخفاك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أم هشام رضي الله تعالى عنها قالت: "ما حَفِظْتُ ﴿ق﴾ إلَّا مِن فِي رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَخْطُبُ بهَا كُلَّ جُمُعَةٍ....." ولعل في قول أم هشام رضي الله تعالى عنها: - "ما حَفِظْتُ ﴿ق﴾" دلالة على أنَّ تكرار النبي صلى الله عليه وسلم لقراءة تلك السورة؛ لأنَّ المعروف والمألوف من حال الناس أنَّ حفظ الكلام وبخاصة الطويل، لا يكون إلا بعد تكراره على السامعين، يؤكِّدُ هذا قولها رضي الله تعالى عنها: "يخطب بها كلَّ جمعة". ولعل مرادها رضي الله تعالى عنها، أنه خطب بها جمعاً متكررة أو كان يكثر من قراءتها على المنبر، والله تعالى أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (قَالَ الْعُلَمَاء سَبَب اِخْتِيَار ﴿ق﴾ أَنَّهَا مُشْتَمِلَة عَلَى الْبَعْث وَالْمَوْت وَالْمَوَاعِظ الشَّدِيدَة وَالزَّوَاجِر الْأَكِيدَة، وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب قِرَاءَة أَوْ بَعْضهَا فِي كُلّ خُطْبَة). انتهى.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى): كان رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَجَامِعِ الْكِبَارِ، كَالْعِيدِ وَالْجُمَعِ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ، وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْمَعَادِ وَالْقِيَامِ وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ والثواب والعقاب والترغيب والترهيب).

الوصية السابعة/ سبق أن ذكرتُ لك وأنت تَعْلَمُ ذلك وتُعَلِّمُهُ، وأعني بذلك: العناية بإعطاء الركعة حظها من الركوع و السجود، وإن مما يؤسف له ما يُلحَظُ على بعض الأئمة من عدم العناية بذلك وخاصة في صلاة التراويح، ومن سديد كلام الشيخ القاسمي علّامة الشام رحمه الله تعالى:(وقد اعتاد كثير من جهلة الأئمة في معظم المساجد أن يخففوا صلاة التراويح إلى هيئة يقعون بسببها في الإخلال بأركان الصلاة وسننها كترك الطمأنينة في الركوع والسجود وكسرد القراءة وإدماج حروف التلاوة بعضها ببعض وكله من الرغبة في العجلة وهذا وما أشبهه من أعظم مكائد الشيطان لأهل الإيمان يُبْطِلُ على العامل عمله مع إتيانه به).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في حديثه عن حال كثير من الناس: (يصلون التراويح بسرعة عظيمة لا يأتون فيها بواجب الهدوء والطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونها فيخلون بهذا الركن ويتعبون من خلفهم من كبار السن، يجْنُون على أنفسهم ويجنون على غيرهم، وقد ذكر العلماء أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فِعْلَ ما يُسَنّ فكيف بسرعةٍ تمنعهم فعل ما يجب).

فائدة: قال السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) ص ٣٧٤ في ترجمة أحمد بن عبدالله الدوري، (كان يصلي بالناس التراويح فيصلى معه الجَمُّ الغفير لمزيد تخفيفه، ويلقبون صلاته بالمسلوقة).

الوصية الثامنة/ **فضيلة الشيخ** إذا كان لك حظٌّ من القنوت في رمضان، فأوصيك بترك أربعة أمور في قنوتك:

[**الأمر الأول**] احرص على اجتناب السجع المتكلّف، أوصى ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما عكرمةَ وصيةً قال في آخرها: (فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك). أي: ذلك الاجتناب.

[**الأمر الثاني**] عليك بورك فيك باجتناب إطالة القنوت، فالإمام مأمور بعدم الإطالة على المصلين كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ... الحديث"، فإذا كان مأموراً بالتخفيف في صلاة الفريضة مراعاة لحال الناس فكيف بمراعاتهم في حال نافلة وفي وقت الدعاء منها قال

الإمام البغوي رحمه الله تعالى: (يكره إطالة القنوت فَعَلَ الائمة أن يحرصوا على تمثيل السنة فهم من أهل القدوة بين أفراد الأمة).

[**الأمر الثالث**] تجنّب رفع الصوت بالدعاء ، قال تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾. وجاء في صحيح البخاري، أنَّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم رفعوا أصواتهم بالدعاء فقال صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنه معكم إنه سميع قريب".

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: (الاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهد الكثير والصياح). قال ابن جريج:(يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة). وقال الحسن البصري:(رفع الصوت بالدعاء بدعة). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك، فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعاً شديداً). وقال المفسر الآلوسي رحمه الله تعالى:(وترى كثيراً من أهل زمانك يعتمدون الصراخ في الدعاء خصوصاً في الجوامع حتى يعظم اللفظ ويشتدُّ، وتستكُّ المسامعُ وتستدُّ ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين، رفع الصوت في الدعاء، وكون ذلك في المسجد). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قال الطبري: (فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين).

[**الأمر الرابع**] احرص جاهداً وتنبّه من التلحين والتمطيط في ألفاظ القنوت. فبعض الائمة يُلَحِّنُ الدعاء ويتقيد فيه بأحكام التجويد أحياناً وهذا مخالف للأصل الشرعي والطبع الجِبِلِّي وبيان ذلك أن الأصل في الكلام أن يكون على سجية المتكلم وهذا يتأكد في مقام التعبّد لله تعالى ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بما جاء به الشرع كترتيل في التلاوة تَرَسّل في الآذان ورفع الصوت في التلبية والأذان، أما الدعاء بتطريب وتلحين وتمطيط فهو ينافي الضراعة والخشية والاستكانة. قال ابن الهمام الحنفي رحمه الله تعالى: (لا أرى تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القُرَّاء في هذا الزمان يصدر ممّن فهم معنى الدعاء والسؤال وما ذلك إلى نوع لعب فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك

أدَّى سؤاله وطلبت تحرير النغم فيه من الرفع والخفض والتغريب والرجوع، كالتغني نُسِبَ البتة إلى قصد السخرية واللعب إذا مقام طلب الحاجة التضرّع لا التغني). وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصه: (على الداعي أن لا يشبّه الدعاء بالقرآن فيلتزم قواعد التجويد والتغني بالقرآن فإن ذلك لا يعرف من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا من هدي أصحابه رضي الله تعالى عنهم). قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله تعالى:(التلحين والتطريب والتغنّي والتقعّر والتمطيط في أداء الدعاء منكر عظيم ينافي الضراعة والابتهال والعبودية وداعية للرياء والإعجاب وتكثير جمع المعجبين به وقد أنكر أهل العلم على من يفعل ذلك في القديم والحديث فعلى من وفقه الله تعالى وصار إماماً للناس في الصلوات وقنت في الوتر أن يجتهد في تصحيح النية وأن يلقي الدعاء بصوته المعتاد بضراعة وابتهال متخلّصاً مما ذكر مجتنباً هذه التكلّفات الصارفة لقلبه عن التعلّق بربه.....).انتهى كلامه رحمه الله تعالى. فالزم السُنّة في عبادتك تر من ربك ما يشرح صدرك ويطمئن قلبك ويقرُّ عينك فضلاً عن النفع المتعدي من تعريف المصلين للسنة وتحبيبهم لها.

الوصية التاسعة/ فضيلة الشيخ أوصيك إذا صليت على جنائز فاجعل لمكان الدعاء حظاً من الوقت، ففي ذلك خير لك وللأموات وللمصلين خلفك، فطول وقت الدعاء-نسبياً- خير للأموات في كثرة وتكرار الدعاء لهم، وخير لك وللمصلين؛ لإنك كلما دعوت أنت والمصلون للأموات، قال الملك: ولك بمثل، وقد ورد النصُّ بذلك للغائب ولعل الميت من باب أولى، وتنبّه ونبّه من يختزل وقت الدعاء، فيحرم نفسه والأموات والمصلين من خير كثير.

فائدة: صحَّ من حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما:" أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ وَجَهَرَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: سُنَّةٌ وَحَقٌّ".

وسُئِلَ سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى عن حكم قراءة سورة بعد الفاتحة في صلاة الجنازة؟ فأجاب بقوله: قراءة سورة بعد الفاتحة أفضل كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

فليتك تُحي هذه السُّنّة، بل وتجهر من السورة أحياناً بآية أو بعض آية حتى يُعْلَم أنها سُنّة. جعلك الله تعالى ممن طال عمره وحسن عمله.

الوصية العاشرة/ فضيلة الشيخ إذا يسّر الله لك أن تلقي دروسًا في الحرم فاجعل ما يتعلق بالتوحيد والسنة هو الأصل فبعضهم يكون جميع دروسه أو أكثرها أو غالبها متعلقاً بالآداب والأخلاق دون غيرها، فمثل هذه الدروس وإن كان فيها بحمد الله تعالى خير إلا أن ما فات من الخير أضعاف أضعاف ذلك الخير، ذلك أنّ الكلام عن الآداب والأخلاق يسمعه من المعلمين في بلاده وفي غير بلاده، بخلاف ما يتعلق بالعقيدة والتوحيد لذا ينبغي وخاصة في دروس الحرمين الشريفين التركيز الدائم على مسائل العقيدة والتوحيد؛ لأن الحاضرين في تلك الدروس من شتى بقاع الدنيا ولعل كثيرًا منهم في عقيدتهم قوادح قولية وفعلية ويحسبون أنهم على حق وخير فإذا سمعوا من إمام الحرم بأسلوب طيب وليّن الحذر والتحذير من تلك القوادح وبيان السُنّة والتوحيد فإنهم أو كثير منهم يسارعون في ترك تلك القوادح والمبادرة إلى التوبة منها ويحصل هذا كثيراً عند مثل هذه الدروس بل إن بعض الحاضرين تسابق عبراته عباراته ويندم على ما مضى من حياته وهو متلّوث بتلك القوادح، وهنا تأكيد وشاهد، أما التأكيد: فوالله لو كنت تكتفي بتكرار مسائل محددة في العقيدة في كل دروسك ولا تزيد عليها فستتجدد الفائدة ويتجدّد انتفاع الحاضرين السابقين ويستفيد الحاضرون اللاحقون، فاحرص على ذلك وخصوصاً أنَّ بعضهم قد لا يحضر لك إلا درساً أو درسين ثم يسافر إلى بلاده وأما المداومون على حضورك -كما تقدم- فسيكون التكرار مرسِّخاً لتلك المسائل في أذهانهم وأفهامهم، ومن باب التوسّع في الفائدة أذكر لك شاهداً لطيفاً فيمن اعتنى بتعليم الناس عبادة واحدة، ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر، في ترجمة (محمد بن إبراهيم ين يعقوب الشافعي) أنه كان يقرئ بالسبع ويشارك في الفضائل وقيل له **شيخ الوضوء**؛ لأنه كان يطوف على المطاهر فيعلم العامة الوضوء، وقريب من هذا المثال ما ذكره الإمام السمعاني في كتابه-الأنساب-(أن أبا حمدون الذهلي المقرئ كان يقصد المواضع التي ليس فيها أحد يُقْرِىء الناس فيقرؤهم حتى إذا حفظوا انتقل إلى قوم أخرين بهذا النعت).

وأما ماجاء في الجَلَدِ والصبر والمصابرة على تعليم الناس ففي كتب التراجم وغيرها ما لا يحصيه ديوان كاتب وأكتفي بسياق مثالين:

المثال الأول/ ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب: (أنَّ أبا الحصين الاسدي كان يبذل نفسه للتعليم فقد جلس خمسين سنة في مسجد واحد يُعَلِّمُ الناسَ ويفقههم في دين الله).

المثال الثاني/ قالون من أشهر القرّاء وأتقنهم حفظاً وصبرًا على الإقراء ومن عجيب قوة حفظه وتعليمه ما ذكره الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، فقد نقل عن علي ابن الحسن قال: إنَّ قالون كان شديد الصم فكان ينظر إلى شفتي القارئ ويرد، للفائدة : (قالون)اسمه: عيسى بن مينا بن وردان أصله من الروم، وهو ربيب نافع بن أبي عبد الرحمن قارئ دار الهجرة، وكان من ألمع أصحابه، وهو الذي لقبه: قالون، ومعناها بلغة الروم: جيد، ويكنى: أبا موسى، فاحرص رعاك الله تعالى **فضيلة الشيخ** على الجانب العقدي في دروسك، جعلك الله تعالى مفتاح خير ومغلاق شر.

الوصية الحادية عشرة/ أوصيك أن تسلك في درسك في الحرم مسلكين أو تجعل لذينك المسلكين نصيباً من منهجك في الدرس.

المسلك الأول/ المسلك العددي وأعني بالمسلك العددي ذكر المسائل أو الفوائد بترقيم متسلسل فذلك أسهل وأيسر في ضبطها وسردها للمتكلم وأسهل في حفظها للسامع، ولهذا المسالك نظائر كثيرة في السنة النبوية ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثنتان في الناس هما بهم كفر..."، " ثلاث من كنَّ فيه كان..."، "إنما الدنيا لأربعة نفر..."، "أغتنم خمساً قبل خمس..."، "اعدد ستاً بين يدي الساعة..."، "سبعة يظلهم الله في ظله..."، "في الجنة ثمانية أبواب"، "إنَّ للشهيد عند الله تسع خصال..."، "عشرة في الجنة...".

المسلك الثاني/ المسلك الاستفهامي، وأعني بالمسلك الاستفهامي تصدير بعض المسائل وخاصة المسائل العقدية بصيغة الاستفهام، وفي ذلك تيقُّظٌ وتنبّيه للسامعين، وهذا محسوس به عندما تكون مستمعاً وتلحظ ذلك بنفسك

على السامعين عندما تكون متكلماً، [وأظن هذا داخلٌ فيما يسمّيه بعضهم بـ: التعلّم بالقوة ومن ثماره وآثاره: نحت الذهن وتهيئته] وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ الأسلوب الاستفهامي في أثناء الكلام أسلوب معروف عند العرب وبخاصة في الأمور التي يريد المتحدث أن ينبّه السامعين لأهميتها. وقد جاء في القرآن الكريم نظائر لهذا الأسلوب الاستفهامي ومن أمثلة ذلك: ﴿**مَا الْحَاقَّةُ**﴾، ﴿**مَا الْقَارِعَةُ**﴾، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ**﴾، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾. وجاء في السُنَّةِ قوله صلى الله عليه وسلم: "ما تعُدُون الشهيد فيكم؟..."، "هل تُضَارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟..."، "ما تقولون في الزنا؟"، "ما تعُدُّونَ الرَّقوبَ فيكم؟"، "ما تعُدُّونَ الصُّرَعةَ فيكم؟".

فلعلك تجرب هذا وأحسب إنك سترى ثمرة ذلك في نفسك وفيمن يسمعك، وما أحسن قول الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في منظومته في الحج:

(فَمَنْ لَمْ يُجَرِّبْ لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ) / / / / / (فَجَرِّبْ تَجِدْ تَصْدِيقَ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ)

***تنبيه**: هذا البيت ليس له علاقة بما ذكرته لك، لكن الشاهد في لفظه لا في سببه، ولعل هذا يلحق بقولهم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومما يزيد هذين المسلكين أهمية في دروس الحرمين ذلك – كما تقدَّم – أسهل وأيسر فهماً للسامعين لدرسك وأتقن وأضبط في نقل الفائدة لغيرهم إذا رجعوا لبلادهم.

فائدة: ذكر السيوطي عن ابن أبي حاتم، عن سفيان بن عيينة، قال: كل شيء في القرآن: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾ فلم يُخْبَرْ – يعني لم يُخبر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم–، وأَمَّا: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ**﴾ فقد أُخْبِرَ به، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

الوصية الثانية عشرة/ أمَّا قراءتك ففيها ماشاء الله تعالى[صوت ندي وحفظ متقن وحسن مخارج الحروف] وليتك تجعل القراءة تكون حدراً ولو أحياناً ولا أعني الحدر السريع وإنما أعني الحدر العادي، ولا يخفى على شخصك

الكريم مثل هذا ولعلك فضيلة الشيخ تجرّب قراءة الحدر أياماً معدودة، ثم تسأل أو تستقرئ حال بعضهم عن قراءتك، وأحسب أنهم سيثنون خيراً، أما أنا فأجزم بل أكاد أُقسم أنها ستكون أرغب عند الكثير وألذّ سماعاً أثناء الصلاة، **شاهد المقال**: أنه ينبغي على الإمام أن يجتهد في القراءة بما يُرغَبُ فيه المأمومون ويأنسون به في صلاتهم ومما يدلُّ على ذلك ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله تعالى عنه، قَالَ: "اسْتَمَعَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَتِي مِنَ الليل، فلما أَصْبَحْتُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، اسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَكَ اللَّيْلَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ. قلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، لَوْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ، لَحَبَّرْتُه لَكَ تَحْبِيرًا"، ومعنى التحبير: (تحسين الصوت وتحزينه) كما ذكر ذلك ابن الأثير في النهاية، وقال المناوي:(وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه وتدبره الإصغاء إليه). وقال السندي: أَيْ بِتَحْسِينِ أَصْوَاتكُمْ عِنْد الْقِرَاءَة، فَإِنَّ الْكَلَام الْحَسَن يَزِيد حُسْنًا وَزِينَةً بِالصَّوْتِ الْحَسَن، وَهَذَا مُشَاهَد ". وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: "وفي هذا دليل على أن الإنسان لو حسَّن صوتَه بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع ويسر به: فإن ذلك لا بأس به، ولا يعدُّ من الرياء، بل هذا مما يدعو إلى الاستماع لكلام الله عز وجل حتى يُسر الناس به" انتهى.

وبعد هذا يقال: إنَّ لسان حال ومقال كثير من المأمومين، أنهم يأنسون بقراءة الحدر ولو كانت طويلة، وينشطون معها، وكنت أسمع كثيراً منهم قديماً وحديثاً يتمنون أن يغيّر بعض أئمة الحرمين قراءة التجويد المتكلّف والمطوّل خصوصاً في المدود والغنّة، ويقرأون حدراً، قال إبراهيم النخعي: (كانوا يكرهون القراءة بتطريب وكانوا إذا قرأوا القرآن قرأوه حدراً مرسلاً بحزن)، وآمل أن يكون حدرك في القراءة، مفتاح خير لبعض أئمة الحرمين خصوصًا ولغيرهم عمومًا، فيحذون حذوك، فتفتح باب خير لك ولهم وللمأمومين فيشملك قوله صلى الله عليه وسلم: "مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعُمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ...".

الوصية الثالثة عشرة/ لا تنس المؤذنين مما عَلَّمك الله تعالى، فبعضهم يبالغ ويتكلَّفُ تكلُّفاً واضحاً، فليكن لهذا وأمثاله نصيب من توجيهك وتعليمك له، روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه قال لمؤذن: إني أبغضك في الله؛ إنك تبغي في أذانك. يشير إلى أنه يتجاوز الحد المشروع بتمطيطه والتطريب فيه. وفي رواية: أنه قال: إنك تختال

في أذانك. ولا يخفاك ما جاء في صحيح البخاري في كتاب الأذان أنَّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال لمؤذن له: أذِّنْ أذاناً سمحاً وإلا فاعتزلنا.

الوصية الرابعة عشرة/ فضيلة الشيخ ليكن للمبلغين خلفك حظ من التوجيه ومن ذلك تنبيههم إذا دعت الحاجة إلى عدم المبالغة في المدود والتكلف بالتغنّي بالصوت.

الوصية الخامسة عشرة/ فضيلة الشيخ، من المُشَاهَد والمألوف أنَّ إمام الحرم إذا جاء للإمامة يمشي معه ثلَّةٌ من الجنود وغيرهم، وأحب هنا أن أذكِّرك في هذا المقام ما ذكره كثير ممن صنَّف في الآداب والتواضع وذم العُجب وطلب الشهرة، أنَّ من أسباب العجب وحب الشهرة — إلا من عصمه الله تعالى وحفظه، جعلك الله تعالى ممن عصمه وحفظه —أن يمشي الرجل وحوله ومعه قوم يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فاشكر الله تعالى على أن سخّر لك من خلقه من يسعى لحفظك والدفع عنك وزد لله تذللاً ولعباده تواضعاً.

الوصية السادسة عشرة/ أولئك الذين يمشون معك من الجنود وغيرهم، مكلفون وظيفةً أن يحرصوا عليك ويتبادروا لتلبية مطالبك حسب عملهم وكلهم مسخرون بفضل الله تعالى ثم بفضل ولاة الأمر حفظهم الله تعالى لحراسة إمام الحرم، ومنهم من يكبرك سناً ومنهم من يصغرك أو في عمرك فكن معهم ابناً لمن كان في سنِّ أبيك وأخًا لمن كان في سنك، وأبًا لمن كان في سن أبناءك، قدِّرهم بتحيتك وبشاشتك، وأحسبُ أنّ هذا الخُلَق النبيل فيك من خلال تعاملك مع الناس وذلك من توفيق الله تعالى لك.

الوصية السابعة عشرة/ عند دخولك وخروجك للحرم سيقف كثير من الناس أثناء مرورك شوقاً لرؤية إمام الحرم، فأوصيك بإفشاء السلام يمنة ويسرة مع بشاشة فذلك يجلب لأولئك الجموع: السعادة والسرور، ويجلب لك: الأجر والدعاء. وفي كُلِ خير بفضل الله تعالى. ومما يحسن ذكره في هذا المقام [ما ورد عن الطُّفَيْل بن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيَغْدُو معه إلى السوق، قال: فإذا غَدَوْنَا إلى السوق، لم يَمُرَّ عبد الله على سَقَّاطٍ (صاحب البضاعة الرديئة) ولا صاحب بَيْعَةٍ (صاحب البضاعة النفيسة)، ولا مسكين، ولا أحد إلا سَلَّمَ عليه، قال الطُفيل:

فجئت عبد الله بن عمر يومًا، فَاسْتَتْبَعَنِي إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تَقِف على البيع، ولا تسأل عن السِّلَعِ، ولا تَسُومُ بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ وأقول: اجلس بنا هاهنا نَتَحَدَثُ، فقال: يا أبا بَطْنٍ -وكان الطفيل ذا بَطْنٍ- إنما نَغْدُو من أجل السلام، فنُسَلِّمُ على من لَقِيْنَاهُ]. فإذا كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حريصاً على دخول السوق لإفشاء السلام؛ لفضل ذلك وعظيم أجره، فكيف بإفشاء السلام على الناس في أفضل وأطهر مكان!! فاحمد الله تعالى أن أنعم عليك بإفشاء السلام على أولئك.

الوصية الثامنة عشرة/ بعض الناس يظن أن من الهيبة وكمال الشخصية عدم التبسّم والحزم الحاد بل يصل به الحال إلى العبوس ويحسب أنه بهذا يجعل لشخصه هيبة وقوة شخصية أمام الناس وهذا من الجهل والقناعة الذاتية الخاطئة وعدم تصوّر الأمور على حقيقتها، فلزوم العبوس خطأ وكذلك لزوم التبسّم والضحك دائماً خطأ، والصواب تمثّل الحكمة في ذلك، وأوصيك بما أوصى به الإمام الشافعيّ يونسَ بن عبد الأعلى رحمة الله تعالى عليهما، قال الشافعيّ: (يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعدوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط).وللإمام الذهبي كلام ذهبي في كتابه الذهبي سير أعلام النبلاء، قال رحمه الله تعالى: (ينبغي لمن كان ضحوكاً بسَّاماً أن يُقَصّر من ذلك ويلوم نفسه حتى لا تمجّه الأنفس، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتبسّم ويحسن خلقه ويمقت نفسه على رداءة خُلقهِ وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم ولابد للنفس من مجاهدة وتأديب) وكلام هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى. هو إعمال لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، في مجمل أحاديث الضحك والتبسّم ومنها على سبيل المثال لا الحصر، قوله صلى الله عليه وسلم: "ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق لكان ذلك من المعروف"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "تبسمك في وجه أخيك صدقة".

الوصية التاسعة عشرة/ فضيلة الشيخ: أوصيك — وأنت كذلك إن شاء الله تعالى— بحفظ مجالسك ولسانك وجوالك من لغو القول وهو بعيد عنك لكن قد يستفزك أحد أو قد يتوسَّع معك أحد، فتذكّر أنك الآن في مقام القدوة وكنت قبلُ كذلك لكن الآن القدوة فيك أوضح وأظهر، سواءً القدوة الفعلية أو القولية.

الوصية العشرون/ فضيلة الشيخ لا تنس من ولّاك هذا المنصب بعد توفيق الله تعالى، وأعني بذلك ولي الأمر حفظه الله تعالى، فلا تنسه بل أكثر له من دعواتك، وأسوق لك من باب التأكيد لما هو معلوم عندك ولا يخفاك، آثاراً قليلة في شأن الدعاء لولي الأمر.

أخرج اللالكائي في كتابه أصول اعتقاد أهل السنة عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: (لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لانه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد).

وأخرج الخلّال عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: (إني لأدعو للسلطان بالتسديد والتوفيق والتأييد في الليل والنهار وأرى ذلك واجباً عليَّ).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله تعالى في كتابه شرح السنة: (إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله).

وقال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح).

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: (الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده).

الله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفق ولي أمرنا، اللهم أعِنْهُ على مسؤوليته، وارزقه البطانة الصالحة المصلحة واجعله مباركاً أينما كان، ووفّق الله تعالى كل من ولّاه ولاة الأمر أمراً في البلاد وعلى العباد ..... آمين يارب العالمين.

الوصية الحادية والعشرون/ فضيلة الشيخ أنت تَعْلَمُ وتُعَلِّمُ أنَّ بَرَّ الوالدين نوعٌ من التعبُّدِ لله تعالى، ولكن البر يزيد شأنه في مواضع منها:

١/ عند مرضهما.

٢/ عند كِبَرِ سِنِّهما.

٣/ عندما يتميّز ولدهما. وهذا هو المراد في هذا المقام، فينبغي للولد إذا منَّ الله تعالى عليه بنعمة تميّز بها عن كثير من إخوانه وأقرانه أن يزيد في بر والديه ومن أبرز ذلك التميّز، تميّزه بمنصب إمامة الحرم فليحرص على أن يضاعف بر والديه ذلك أنَّ كلَّ ما أصاب الولد من نعمة فهو بتوفيق الله تعالى أولاً ثم بدعاء الوالدين، بل إنَّ دعاء الوالدين ومحبتهما أن يصيب الخير ولدهما قد يسبق وجوده ومن دلائل ذلك: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾. فدعا عليه السلام بطيب الذرية قبل خلقها.

وأمَّا مضاعفة البر لهما عند تميُّز ولدهما، ففي ذلك شواهد كثيرة، منها:

١/ تلطّف الخليل عليه السلام عندما اصطفاه الله تعالى نبيّاً في نداء وخطاب أبيه بقوله أربع مرات: ﴿**يَا أَبَتِ... يَا أَبَتِ ... يَا أَبَتِ ... يَا أَبَتِ ...**﴾ وتأمل في ألفاظ خطاب الخليل عليه السلام، فقد تلطَّف وترفَّق مع أبيه واستعمل في حديثه: أرقَّ عبارات البنوَّة في خطاب الأبوَّة.

٢/ يوسف عليه السلام عندما آتاه الله تعالى النبوة والرئاسة في مصر: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾.

٣ / النبي صلى الله عليه وسلم: " جَاءَتْ إِلَيه حليمة السعدية التي أرضعته فبسط النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا رِدَاءَه، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَلَى رِدَائِهِ" ورد ذلك من عِدّة طرق ترتقي إلى ثبوت الخبر.

٤/ برُّ النبي صلى الله عليه وسلم عندما اصطفاه الله تعالى بالنبوّة بعمه أبي طالب – وعمّ الرجل صنو أبيه – وتَرَفُّقِهِ به واستعطافه له في قوله: يا عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله، وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو عمه حتى حال بينهما الموت، كما كان نوح عليه الصلاة والسلام يدعوا ابنه حتى حال بينهما الموج.

٥/ قال أبو يوسف رأيت أبا حنيفة رحمه الله تعالى يحمل أمه على حمار إلى مجلس عمر ابن ذر كراهية أن يرد على الأم أمرها.

٦/ ومن اللطائف في هذا الباب، ماجاء عن حيوة ابن شريح وهو أحد أئمة العلم الكبار كان يقعد في حلقته يعلّم الناس فتقول له أمه: قم يا حيوة فألقِ الشعير للدجاج فيقوم من الحلقة ويلقي الشعير للدجاج ثم يعود بعد ذلك.

فيا عجباً من هذين الإمامين مع رفيع شأنهما ومكانتهما، الأول: يسوق حمار أمّه لقضاء حاجتها، والثاني يلقي الشعير للدجاج طاعة لأمه، وأعظم منهما، بِرُّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بوالديهم.

فالله الله في برِّ الوالدين.

الوصية الثانية والعشرون/ فضيلة الشيخ، أنعم الله تعالى عليك بحفظ كتابه الكريم وحسن تلاوته، قد تكون قد تنقّلت بين محاريب عددٍ من المساجد وأفضلها آخرها عندما صليت في الحرم وصلى خلفك الكثير، ومثل حالك هذا يكثر أصحابه وعارفوه، وأخصُّ من الأصحاب أصحابك الأوائل أولئك الذين كان بينك وبينهم مودة ومحبة قبل إمامة الحرم، فمثل هؤلاء لا ينبغي إهمال صحبتهم ومحبتهم؛ لأنَّ بعض الناس إذا تبوَّأ منصباً رفيعاً، تناسى أو تغيّر على أصحابه ومحبيه السابقين، ذكرتُ هذا لك— وقد شكى لي بعضهم ذلك عن أصحاب لهم تغيّروا عليهم بعد ما تولوا مناصب شرعية رفيعة — وهذا تأباه الديانة وتنفر من المروءة، ومن أحسن بل أحسن ما أعجبني مما يستشهد به في هذا الحال، ما جاء في الحديث عن السائب بن أبي السائب رضي الله تعالى عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "...كنتَ شَريكي فنعم الشَّريكُ، كنتَ لا تُداري، ولا تُماري"، فانظر إلى عظيم خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، كان السائب رضي الله تعالى عنه شريكاً معه في التجارة في الجاهلية، و مع أن النبوّة أعظم وأشرف منصب في الدنيا كما ذكر معنى ذلك الإمام السيوطي رحمه الله تعالى، مع ذلك كله لم ينس صلى الله عليه وسلم صاحبه بل مدحه وأثنى عليه، وصدق الله و من أصدق من الله قيلًا ومن أصدق من الله حديثًا: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾.

الوصية الثالثة والعشرون/ فضيلة الشيخ قد يصادفك شخصٌ أخطأ عليك قبل تعيينك في الحرم فيصاب بالحرج منك وخاصة عندما يُسَلِّم عليك، فأوصيك في مثل هذا أنْ تفتح له صدرك قبل بيتك، فالقدوة الحسنة يعفو عمن أخطأ عليه إذا كان في العفو مصلحة، وبخاصة إذا اعتذر المخطئ أو شعر المخطَىء عليه أن المخطِيء نادم على خطئه، وتَذِكِّر ما فعل إخوة يوسف عليه السلام به من الأذى الحسي والمعنوي ومع كل ذلك لَمَّا اعتذروا له بقولهم: ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ كان جوابه عليه السلام أعظم من اعتذارهم إليه فقد سامحهم ودعا لهم قائلاً: ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

الوصية الرابعة والعشرون/ فضيلة الشيخ ما يكون بين الأقران لا يخفى على مثلك ولو كانوا في مناصب صغيرة فكيف إذا كانوا في مناصب كبيرة بل قد تكون أكبر أو من أكبر المناصب الشرعية، ففي مثل هذه المواطن قد يكون للشيطان نصيب في الوقيعة بينهم إلّا من وفَّقه الله تعالى، فإن عوفيت من ذلك فاحمد الله تعالى وإن بليت بمن ترى منه أو تسمع عنه الإضرار بك فأوصيك بأمور:

أولها/ كن عوناً له على الشيطان ولا تكن عوناً للشيطان عليه.

ثانيها/ عليك بالدعاء له بالتوفيق والهداية.

ثالثها/ احرص — مرضاة لله تعالى ثم مراعاة للقرين — على أن يرى فيك ويسمع منك ما يصرف عنه ظن السوء وكيد الشيطان ومن ذلك: أن تتحبّب له بالابتسامة والكلام الطيب وإظهار التحفي به عند حضوره مجلساً أنت فيه.

رابعها/ احرص على إيثاره في بعض الأمور لا الاستئثار عليه في كل الأمور.

خامسها / احرص على التواصل معه مزاورة أو مشافهة أو مهاتفة أو مكاتبة فبذلك كله وقبل ذلك بفضل الله تعالى: سيتغيّر تعامله معك، وربما تكون لك عنده منزله خاصة أكثر من آخرين من أصحابه.

سادسها/ عدم السماح بغيبته أو همزه ولمزه، ويحصل هذا غالباً في المجالس التي يعرف الجلساء أنَّ بينك وبينه شيئاً، وتنبَّه سدَّدك الله تعالى إلى أنَّ بعض الجلساء، قد يتعمّد القدح فيه طمعاً في أن يكون له زيادة حظوة عندك، فمثل هذا كن عوناً له على الشيطان فأنكر عليه ذلك بعلم وحكمة، فبذلك ترضي ربك وتنصح أخاك الحاضر وتحفظ عرض أخيك الغائب.

وإليك رعاك الله تعالى مثالاً من الرعيل الأول أولئك الأبرار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنهم، أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (الصمت وحفظ اللسان) أن سعداً وخالداً رضي الله تعالى عنهما كان بينهما كلام، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد، فقال سعد: مَهْ — أي: كُفَّ عن هذا — إنَّ ما بيننا لم يبلغ ديننا.

ومثال آخر وأخير :شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول عنه تلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :كان يدعو لأعدائه، ما رأيته يدعو على واحد منهم، وقد نعيت إليه يوماً أحد معارضيه الذي كان يفوق الناس في إيذائه وعدائه، فزجرني، وأعرض عني، وقرأ: "إنّا لله وإنا إليه راجعون" وذهب لساعته إلى منزله، فعزى أهله، وقال: " اعتبروني خليفة له، ونائباً عنه، وأساعدكم في كل ما تحتاجون إليه" وتحدث معهم بلطف وإكرام بعث فيهم السرور، فبالغ في الدعاء لهم حتى تعجبوا منه.

فإذا كان هذا حاله مع خصومه! فكيف يكون حالهم مع إخوانه المخالفين له!؟ حقّاً إنه حقيقٌ بلقب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى. قال عنه ابن مخلوف وكان من أشد أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية ثم أدهشته روعة أخلاق شيخ الإسلام فقال:" ليتنا لأصحابنا كابن تيمية لأعدائه".

سابعها وهو خاتمها والجامع لها أوصيك وأقول لشخصك الكريم: أطع الله تعالى فيمن عصاه فيك.

الوصية الخامسة والعشرون/ فضيلة الشيخ: لا يخفاك أنَّ صاحب العلم — فكيف بإمام الحرم — إذا حضر مجلساً حرص الحاضرون على سؤاله فيما يشكل عليهم من أمور العقائد والعبادات والمعاملات والسلوكيات وغير ذلك، والشاهد من ذلك: أنَّ من مداخل الشيطان الدقيقة في هذا المقام أنه قد يرِدُ عليه سؤال لا يعرف جوابه، فيلبّس

عليه الشيطان: بإنَّ عدم جوابك سيترتّبُ عليه نقص مكانتك ومنزلتك عند هؤلاء الحاضرين معك بل وعند الناس، ثم يُزَيّن له الشيطان: أن يجيب بكلامٍ عامٍ — لا ينفع السائل ولا يفيده على سؤاله — كل ذلك كما تقدم: خشية أن تنقص منزلته ومكانته عند الحاضرين إذا علموا منه عدم العلم بالجواب، وهذا المسلك مزلق خطير شنيع لصاحبه وفيه محاذير كثيرة أعظمها القول على الله بلا علم ويكفي هذا خطورة وإثماً، ويقال في هذا المقام إن من الديانة الواجبة أن يقول المسؤول لا أدري إذا كان يجهل الجواب. ويكفي في هذا: نهي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾، ومن باب التوسُّع في الفائدة إليك رعاك الله تعالى: مثالاً واحداً في هذا الباب، يُغني عن كل مثال، وأعني بذلك: تَمَثُّلُ النبي صلى الله عليه وسلم لنهي ربه تعالى الذي سبق ذكره، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً أموراً ثلاثة، وأخبر أنه لا يدري عنها جميعاً فقال صلى الله عليه وسلم: "ما أدْرِي أَتُبَّعٌ كانَ لعينًا أمْ لا؟ وما أدرِي ذُو القَرْنَينِ أَنَبِيًّا كانَ أمْ لا؟ وما أدرِي الحدودُ كفاراتٌ لأهلِهَا أمْ لا؟"، وأحسب أنَّ هذا المثال أوضح وأبلغ وأقطع من قولهم: (قطعت جهيزة قول كل خطيب).

شاهد المقال وبيت القصيد ومحطُّ الركب: تقرَّب إلى الله تعالى بقولك: [**لا أدري**] عند عدم علمك بالجواب.

الوصية السادسة والعشرون/ بعضهم إذا كان له منصب رفيع وحضر مجلساً ثم ذكر أحد الحاضرين فائدة أو معلومة، ثَقُلَ عليه أن يتقدّم عليه أحد بالفائدة مع أنَّ المفيد قد يكون في سنّه أو أكبر، لكن يرى ذلك من عدم التقدير ومعرفة المنزلة له، والشاهد هنا: أنّه قد يُخَطِّئ المتكلّم بدعوى أنه أدرى ويعرف سلفاً أنَّ الحاضرين سيكونون تبعاً له لرفيع منصبه، وهذا مما لا يليق ولا ينبغي شرعاً ولا أدباً، وأسوق لك هذا الشاهد النفيس عن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وهو أعظم الناس منزلة في الدين والدنيا والبرزخ والآخرة ومع ذلك دعا بالرحمة لمن أذكره آية نسيها مع أنه الذي أُنزِل عليه القرآن، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سَمِعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَجُلًا يَقْرَأُ في المَسْجِدِ، فَقالَ: "رَحِمَهُ اللهُ لقَدْ أذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا آيَةً، أسْقَطْتُهُنَّ مِن سُورَةِ كَذَا وكَذَا". ومن كمال خلقه الكريم

صلى الله عليه وسلم أنّه أخبر عن صواب ذلك الرجل وعن نسيانه عليه الصلاة والسلام، ابتداءً من نفسه، وصدق الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وأسوق لك مثالاً **فضيلة الشيخ** لترى عظيم أخلاق علمائنا رحمه الله تعالى، وهدى أولئك الذين لبس عليهم الشيطان، والمثال يتعلّق بالإمام الزهري، وقبل سياق المثال، إليك قليلاً من كثير مما قيل في حق هذا الإمام رحمه الله تعالى.

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قالوا: (وكان الزّهريّ ثقة، كثير الحديث والعلم والرّواية، فقيهاً جامعاً)، وقال ابن حبان رحمه الله تعالى:(رأى الزهري عشرة من أصحاب رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقًا لمتون الأخبار، وكان فقيهاً فاضلاً، روى عنه النّاس)، وقال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى:(الزهري أعلم الحفاظ)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عنه: (فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه).

بعد هذا فضيلة الشيخ أسوق لك المثال المقصود لترى فيه عظيم أخلاق أهل العلم وصادق تواضعهم وورعهم. (ذكر أحدهم حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الزهري: ما بلغني هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له الرجل الذي ساق الحديث: يا زهري هل بلغك كل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الزهري: لا. فقال الرجل: هل بلغك نصفه؟ فقال الزهري: عسى، فقال الرجل: فاجعل هذا الحديث من النصف الذي لم يبلغك. فسكت الزهري رحمه الله تعالى ولم يكابر أو يجادل) مع إمامته وجلالة قدره وحفظه للكثير من الأحاديث النبوية، ذكر هذا الخبر ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق عن نافع بن مالك وأنه الذي سأل الزهري عن الحديث. وقد قرأت الخبر قديمًا في بعض المراجع بلفظ مقارب.

الوصية السابعة والعشرون/ مما يذكره بعضهم أنَّ بعض من يتولى منصباً شرعياً رفيعاً -وهم قلّة بحمد الله تعالى- إذا حضر مجلساً وتكلّم ولاحظ عليه بعض الجالسين مأخذاً على كلامه، ظهر منه الضجر والحرج من ذلك الذي لاحظ عليه بل قد تأخذه العزة بالإثم فلا يتراجع بل قد يلاحظ على من لاحظ عليه؛ لأنّه يرى أنّ تلك الملاحظة

عليه تُنقِص من مكانته وهذا من تلبيس الشيطان، وكان الأولى به إذا تبيّن خطأه أن يشكر من لاحظ عليه، ففي ذلك طاعة للرحمن ومعصية للشيطان وتربية وتوجيه للحاضرين ومن بلغ.

ومن الأخبار النفيسة العظيمة في هذا الباب: أسوق لك هذا الخبرَ الذي يستحقُ بحقٍ أن يكونَ متناً يُشْرَحُ في هذا المبحثِ وأمثالِهِ، قال القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله تعالى في كتابه [أحكام القرآن ١/ ١٨٢ —١٨٣]:

أخبرني محمد بن قاسم العثماني –غير مرةٍ – قال: وصلت الفُسطاط مرَّةً، فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري، وحضرت كلامه على الناس، فكان مما قال – في أول مجلس جلست إليه: إن النبي ﷺ طلَّق، وظاهر، وآلى. فلمَّا خرج تبعته، حتى بلغتُ معه إلى منْزله –في جماعة، فجلس معنا في الدِّهليز، وعرَّفهم أمري؛ فإنه رأى إشارة الغُرْبة، ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه، فلمَّا انفضَّ عنه أكثرهم، قال لي: أراك غريباً، هل لك من كلامٍ؟

قلت: نعم. قال لجلسائه: أفرجوا له عن كلامه، فقاموا، وبقيت وحدي معه، فقلت له: حضرت المجلس اليوم ...وسمعتك تقول: آلى رسول الله ﷺ وصدقتَ، وطلَّق ﷺ وصدقتَ، وقلت: وظاهرَ رسول الله ﷺ وهذا لم يكن، ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكرٌ من القول وزور؛ وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ فضمَّني إلى نفسه، وقبَّلَ رأسي، وقال: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من معلِّمٍ خيراً. ثم انقلبتُ عنه، وبكَّرتُ إلى مجلسه في اليوم الثاني، فألفيتُهُ قد سبقني إلى الجامعِ، وجلسَ على المنبر، فلمَّا دخلتُ من باب الجامع ورآني، نادى بأعلى صوته: مرحباً بمعلِّمي، أفسحوا لمعلِّمي، فتطاولتِ الأعناق إِلَيَّ، وحدَّقتِ الأبصار نحوي، وتبادر الناس إليَّ يرفعونني على الأيدي، ويتدافعونني حتى بلَغْتُ المنبر، وأنا –لِعِظَمِ الحياء– لا أعرف في أيِّ بُقعةٍ أنا من الأرض! والجامع غاصٌّ بأهله، وأسال الحياءُ بدني عرَقاً، وأقبل الشيخ على الخلق، فقال لهم: أنا معلِّمكم، وهذا معلِّمي؛ لمَّا كان بالأمس قلت لكم: آلى ﷺ وطلَّق، وظاهرَ؛ فما كان أحدٌ منكم فقه عني، ولا ردَّ عليَّ، فاتبعني إلى منْزلي، وقال لي كذا وكذا –وأعاد ما جرى بيني وبينه– وأنا تائب عن قولي بالأمس، وراجع عنه إلى الحق، فمن سمعه ممن حضر فلا يُعَوِّل عليه، ومن غاب فليُبْلِغْهُ من حضرَ، فجزاه الله خيراً، وجعل يَحْفِلُ في الدعاء، والخلق يؤمِّنون.

ثم علَّق ابن العربي بقوله: فانظروا رحمكم الله إلى هذا الدين المتين، الاعتراف بالعلم لأهله على رؤوس الملأ: مِن رجلٍ ظهرت رياسته، واشْتَهرتْ نفاسته؛ لغريبٍ مجهول العين لا يعرف من؟ ولا من أين؟ فاقتدوا به ترشدوا.

الوصية الثامنة والعشرون/ حسن الخُلُقِ في الشخص قدوة صامتة يتأثر بها جلساؤه حتى لو لم يتكلم بكلمة، وأولى الناس بهذا أهل العلم، وبخاصة من لهم علاقة واتصال بالناس، وأحسب أن أئمة الحرم لهم قصب السبق في ذلك، لذا على صاحب العلم أن يحرص بل يدعو ربه ويجاهد نفسه على أن يرزقه الله تعالى حسن الخلق ويكفي في عظيم منزلة حسن الخلق أن الله تعالى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ قال بعض علماء الشافعية عند هذه الآية: (وتعظيم العظماء للشيء يدل على تَوَغُّلِهِ في العظمة، فكيف إذا كان المعظم أعظم العظماء!)) انتهى كلامه، شاهد المقال: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم منزلته عظيم خلقه كان يدعو ربه عز وجل: "اللهم كما أحسنت خلقي فحسّن خلقي"، "اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت" إلى غير ذلك مما جاء في عشرات الأحاديث الدالة على حسن الخلق، بل لعظيم شأن حسن الخلق أفرده غير واحد من أهل العلم بمصنفات مستقلة.

وإذا كان حسن الخلق بهذه المنزلة الرفيعة فإن سوء الخلق من أقبح الأمور وأشنعها، ومن عجيب ما قرأت في سوء الخلق أن غير العقلاء ينفرون من سيء الخلق ناهيك عن العقلاء وإليك شاهدين:

الأول/ دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطًا لرجلٍ من الأنصارِ فإذا فيه جملٌ فلمَّا رأَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حنَّ وذرِفت عيناه فأتاه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فمسَح ذِفراه فسكت فقال من ربُّ هذا الجملِ؟ لمن هذا الجملُ؟ فجاء فتًى من الأنصارِ فقال: لي يا رسولَ اللهِ فقال: أفلا تتَّقي اللهَ في هذه البهيمةِ الَّتي ملَّكك اللهُ إيَّاها؛ فإنَّه شكَى إليَّ أنَّك تُجيعُه وتُدئِبُه. وهذا الصحابي كسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم على خُلُقٍ حسن، وشكوى البعير بسبب قسوته عليه.

الثاني/ روى يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: (السيء الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى أنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فيفرون عنه فَرَقاً منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإنَّ كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه)، ذكر الخبر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء.

الوصية التاسعة والعشرون/ سيكثر معارفك ومحبوك وستكثر دعوات الناس لك: تارة إلى منازلهم وتارة إلى أعراسهم، إلى غير ذلك من أنواع الدعوات، والذي أوصيك به أن يكون لحضورك حظٌ من إفادة الحاضرين ولو كان وقت الفائدة قصيراً للغاية، ففائدة يسيرة خير من عدمها، والفائدة تارة تكون فعلية وتارة تكون قولية، [أما الفائدة الفعلية] فتكون بسمت صاحب العلم وحفظ مروءته وحسن أخلاقه، ومن شواهد ذلك عن سلفنا الصالح في مجامع الناس، ما ذكره الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه سير أعلام النبلاء عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى، فقد ذكر أنه كان يجتمع في مجلس الأمام أحمد خمسة آلاف أو يزيدون منهم نحو خمسمائة يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت، [وأما الفائدة القولية] فإفادة الحاضرين بكلمة تتضمن توجيهاً أو جواباً على سؤال، ومن لطيف ما يُذكر في المقام، ما ذكره الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى، فقد قال: (أوصاني رجل من عامة الناس قال لي: يا بني، احرص على نشر العلم، حتى في المجالس، مجالس القهوة أو الغداء وما أشبه ذلك، احرص عليه، لا تترك مجلسًا واحدًا إلا وأهديت إلى الجالسين ولو مسألة واحدة. أوصاني بذلك وأنا أوصيكم بذلك لأنها وصية نافعة) وأنا **فضيلة الشيخ** أوصي نفسي وإياك بهذه الوصية النافعة، رحم الله تعالى الموصِي والموصَى السابِقَين ووفّق الله تعالى الموصِي والموصَى اللاحِقَين.

الوصية الثلاثون/ **فضيلة الشيخ**، من المعلوم بدهاً أنَّ ثقة المستفتين واطمئنانهم إلى إمام الحرم، قد تبلغ الغاية عندهم، ولا يتجاوزونه إلى غيره، ولذا قد يحطمك الناس بكثرة أسئلتهم وأوصيك هنا بسؤال الله تعالى العون والتأييد، واحرص على رحابة الصدر وتحمل سماع أسئلة الناس بطيب نفس وسَعَةِ بالٍ؛ لأن ذلك مما يُرضي الله تعالى ثم مما يحببك لهم، ومن ثمار ذلك: قبول نصحك وتعليمك، فصاحب العلم كمورد الماء، إليه يرد الناس وعنه يصدرون

فلا بد أن يوطِّنَ نفسه على حسن مقابلتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وليحذر من تنفيرهم وإظهار الضجر والملل منهم، فإنَّ ذلك قد يحملهم على البعد عنه خصوصاً، وقد يحملهم ذلك إلى تعميم الحكم والوصف على أهل العلم جميعاً، ومما يحسُن ذكره في هذا المقام ماكان عليه علماء السلف رحمهم الله تعالى، فقد كانوا مصابيح يمشون على الأرض، كانوا قدوات فعلية وقولية في التعامل مع الناس عوامهم وخواصهم وكتب التاريخ والتراجم تشهد بذلك، بل وتتشرّف بتراجمهم وتعاملهم وأنهم كانوا أرحب الناس صدراً مع الناس اقتداءً بنبيهم صلى الله عليه وسلم' فنفع الله تعالى بهم القاصي والداني، ومما ينبغي أن يُتَفَطَنُ له في هذا المقام أن الشيطان يُصَعِّبُ هذا الشأن(التلطُّف مع الآخرين)، عند كثير من الناس، لكنه يسير على من يسّره الله تعالى عليه، فسل الله تعالى الإعانة على ذلك وجاهد نفسك على مصابرة الناس، و خاصة أنهم قصدوك لشخصك دون غيرك، وتذكر قول ربك: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وتذكَّر أيضاً قول نبيك صلى الله عليه وسلم : "... أفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ و جلَّ"، وسترى من فضائل الله تعالى ما يطمئن قلبك ويشرح صدرك ويقرُّ عينك، من التوفيق ومحبة الناس.

وإليك هذه البشارة النبوية العظيمة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبدٍ إلا وله صيتٌ في السماء فإذا كان صيته في السماء حسناً وضع في الأرض حسناً وإذا كان صيته في السماء سيئاً وضع في الأرض سيئاً". جعلك الله تعالى ممن وُضِعَ له القبول في السماء والأرض، وأعاذك الله تعالى من ضد ذلك.

فائدة: حديث: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب". حديث ضعيف، قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: (رواه البيهقي بسند ضعيف، قاله الحافظ العراقي في شرح الإحياء، نقله عنه العجلوني في كشف الخفاء، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (هو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة وليس بحديث)، نقله أيضًا العجلوني عن الحافظ في الكشف، هذا ملخص ما ذكره العجلوني) .

الوصية الحادية والثلاثون/ أوصيك بحفظ مروءتك، (والمروءة، كما قال بعض أهل العلم: مصدر (مَرُؤَ)، جمعها (مروءات): وهي آداب نفسانية حسنة تدفع الإنسان للوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات، والتحلّي بها، وقيل هي كمال الرجولة، فرجلٌ ذو مروءة، يعني رجل ذو أخلاق، ورجولة، ونخوة، وشرف).

وقال الماوردي رحمه الله تعالى في تعريف المروءة: (هي مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق) انتهى كلامه.

ولتعلم بورك فيك: أنَّ من آثار خوارم مرؤة الرجل: عدم ثقة الناس في علمه وتعليمه، وذهاب هيبته، وجرأة الناس على شخصه بل والاستخفاف به، ومن شواهد ما يؤكِّدُ هذا: ما ذكره الحافظ ابن رجب في (ذيل طبقات الحنابلة) نقلاً عن الإمام ابن الجوزي في ترجمة بعضهم، بقوله: (وكان سامحه الله قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة بحيث إنه كان يلعب بالشطرنج على قارعة الطريق مع العوام، ويمازح السفهاء، ويقف في الشوارع على حلق المشعبذين وأصحاب اللهو، واللعابين بالقرود والدّباب من غير مبالاة] انتهى المراد. وبكل حال، فالمروءة محمودة إذا اتصف بها عوام الناس فكيف إذا كان المتخلّق والمتصف بها من أهل العلم!

ورحم الله تعالى مشايخي فمع رفيع منزلتهم في العلم والدين، كانوا أحياناً يمازحون طلابهم ويذكرون بعض الدعابات، وكل ذلك بأسلوب لا يخرق ستار الحياء ولا يخرم جلباب المروءة.

وأختم هذا الوصية بورك فيك، بتنبيه وفائدة، فإليك هما:

تنبيه: قِلّة علم مع حفظ المروءة، تؤثر في الآخرين إيجاباً، وكثرة علم مع قِلّة مروءة تؤثر في الآخرين سلباً، فاحرص رعاك الله تعالى على كمال ذلك وأعني به حفظ المروءة مع كثرة علم وازدياد في طلبه.

فائدة: ذكر الرازي في كتابه (مناقب الشافعي) عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: والله لو علمتُ أنَّ الماء البارد يثلم من مروءتي شيئاً ما شربت إلا حاراً).

الوصية الثانية والثلاثون/ فضيلة الشيخ جعلك الله تعالى مباركًا أينما كنت، من طبيعة المرء السعي والحرص على حصول ما يريد ويحتاج في حياته، ولكن مع سعيه وحرصه قد يتعذَّر أو يصعب عليه تحصيل مراده فيلجأ بعد الله تعالى إلى من يقضي حاجته فيأتي طالب الحاجة ويطلب ممن يؤمل عليه، أن يشفع له، ومن المعلوم أنَّ الناس يقصدون في هذا أصحاب المناصب لمكانتهم في المجتمع وإمامة الحرم من المناصب الكبرى وإذا كان ذلك كذلك فسيكثر قصد أصحاب الحاجات إلى شخص فضيلتكم فيا أيها المبارك احرص جاهداً على قضاء حاجة من تستطيع، قم بالشفاعة -إِذا قدَّرتَ المصلحة في ذلك- مشافهة أو مكاتبة أو مقابلة وكل ذلك من أنواع التعبّد لله تعالى وفيها أجر عظيم قال تعالى:﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: "اشفعوا تؤجروا"، ولو تأملت في هذين النصين لرأيت أنَّ الأجر مترتب على مجرد السعي في الشفاعة وليس على حصول المطلوب. ومن عظيم الجزاء أيضاً في قضاء حوائج الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ..."، وإليك أربعة أمثلة من عجائب ما يروى عن أئمة العلم في هذا الباب:

المثال الأول/ جاء في ترجمة الإمام محمد بن أحمد بن محمد ابن قدامه رحمه الله تعالى أنه كان كثيراً ما يكتب إلى أرباب الولايات شفاعات لمن يقصده، فقال له المتولي يومًا: إنك تكتب إلينا في قوم لا نريد أن نقبل فيهم شفاعة، ونشتهي أن لانرد رقعتك، فقال الإمام ابن قدامة: أما أنا فقد قضيت حاجة من قصدني، وأنتم إن أردتم أن تقبلوا ورقتي وإلا فلا .

المثال الثاني/ أبو المظفر الخزاعي رحمه الله تعالى كان يلزم نفسه بقضاء حوائج الناس ويرفعها إلى المتولي فيوقع عليها بقضائها، فقيل له مرة: أيها الشيخ ربما وقع ضجر من إنهائك ما تنهيه، فقال: أنا لا أزال أكتب، فإن قضيتُ حاجة من كتبتُ، فذلك الغرض وإن لم تُقْضَ فقد أعذرتُ ولا أتأثَّر بذلك.

المثال الثالث/ وهو من الأمثلة العجيبة والآثار النفيسة في هذا المقام: مشى الإمام بقية ابن مخلد رحمه الله تعالى مع رجل من قرطبة إلى إشبيلية لقضاء حاجة له، ومشى في حاجة امرأة أخرى إلى جيّان)، والعجيب أنَّ بين قرطبة

وأشبيلية ١٤٢ كم، وبين قرطبة وجيان ١١٩ كم، لكن كما قال القائل: [وإذا كانت النفوس كبارًا ::: تعبت في مرادها الأجسام].

وأما المثال الرابع/ فهو للإمام ابن باز رحمه الله تعالى، ذلك الإمام الذي جمع الله تعالى فيه من خصال الخير الشيء الكثير ﴿**ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ**﴾، فشفاعات سماحته لا يحصيها ديوان كاتب، تلك الشفاعات المتنوعة تارة مكتوبة وتارة مشافهة وتارة منقولة بلسان غيره تكليفاً منه، وقد توليتُ إدارة مؤسسته العلمية سنتين فرأيت عجباً من كثرة شفاعاته رحمه الله تعالى، وأحسب أنَّ ما فاتني وخفي عليَّ أضعاف ما رأيت.

وفي ختام هذا المبحث يقال: الشفاعة للآخرين نوع من التعبّد لله تعالى ومن ثمارها:

١/ طاعة لله تعالى. ٢/ طاعة للرسول صلى الله عليه وسلم. ٣/ إدخال سرور على نفوس المشفوع لهم. ٤/ ثبوت الأجر بمجرد حصول الشفاعة لا بحصول المشفوع فيه. ٥/ نوعٌ من الإحسان مردود على صاحبه ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: "من فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة". ٦/ الجزاء من جنس العمل، فإن شفع من طُلبت منه الشفاعة فربما يحتاج شفاعةً فيُشفع له، وفي المقابل ربما يمتنع من طُلِبَتْ منه الشفاعة فتكون له حاجة فيطلب شفاعةً فيمتنع المطلوبُ منه، ويحضرني هنا قول الشاعر:

(اشفع إذا كنتَ مسؤولاً فَرُبَّتَمَا::::: سألتَ ما كنتَ مسؤولاً فلم تُجَبِ).

فائدة: من اللطائف التي أتذكّرها عند هذا البيت الشعري: أنَّ أحد الأفاضل من أئمة المساجد طلب مني الشفاعة عند الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى وذلك بشأن نقل درس للشيخ من مسجد إلى مسجد طالب الشفاعة، وبعدما تأمّلت في الأمر كانت المصلحة في نقل الدرس إلى مسجد المشفوع له بسبب قرب المسجد من منزل الشيخ وأيضاً مصلحة للطلاب وذلك لسهولة الوصول إلى المسجد أكثر من المسجد السابق، الشاهد: أنني عندما قابلت الشيخ في منزله ذكرت له هذا البيت الشعري ثم سألت الشيخ عن قائل البيت وصحة لغة كلمة (فربتما)وعن معنى البيت

فلما فرغ الشيخُ من الجواب أعدتُ البيتَ عليه ثم قلت له: اشفع عندك في نقل الدرس من مكانه السابق إلى مسجد المشفوع له، فتبسَّم ضاحكاً من قولي وقَبِل الشفاعة، جزاه الله تعالى عني وعن جميع طلابه خيرًا.

الوصية الثالثة والثلاثون/ فضيلة الشيخ لا يخفاك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً... الحديث" وتأمَّل في قوله صلى الله عليه وسلم: "شيئاً" فهذه الكلمة نَكِرَةٌ، والنكرة إذا جاءت في سياق النهي أو النفي تفيد العموم، كما في هذا الحديث، فيكون معنى الحديث: لا تحقر أي معروف، صغيراً كان أو كبيراً، حسيَّاً كان أو معنوياً، قاصراً كان أو متعدياً، حالّاً كان أو مؤجلاً، مرئياً كان أو مسموعاً... إلى غير ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، فلا تَدّخِر وُسعاً في تقديم ما تستطيع من المعروف الحسي و المعنوي، وأبواب المعروف كثيرة ومتنوعة فاجتهد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولو كان الذي تستطيع تقديمه يسيراً، فبادر به ولا تحقره ، فقد يكون ذلك اليسير منك مفتاحاً صغيراً لبابٍ من الخير كبير، ومن أبواب الخير العظيمة، بل من أعظم أنواع المعروف: شحذ الهمم وتقوية العزائم على طلب العلم والتزوّد منه، والعناية خاصة بالناشئة الحريصين على العلم ودعمهم سواءً من بلادنا أو غيرها- وفي كلٍ خير-فكلمات من إمام الحرم فيها الحثّ لأولئك على طلب العلم والحرص عليه، تؤثّر بل قد تؤسس نواةً لمشروع إمام في العلم ينفع الله تعالى به العباد و البلاد، فرُبَّ كلمةٍ تقولها أو تكتبها قد تُغَيّر تاريخ من قيلت له وما ذلك على الله بعزيز، وإليك خمسة أمثلة عن كلمات يسيرة أنبتت أشجاراً وغيّرت إنساناً:

المثال الأول/ (صحيح البخاري) أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم الكتاب المقدَّم على جميع كتب السُنَّة، هذا الكتاب لو أراد أهل هذا العصر أن يصنفوه ابتداءً لاحتاجوا إلى عقد ورش عمل ومشاركة جموع من أصحاب التخصصات العلمية المتنوعة من دراسات قرآنية وحديثية وفقهية ولغوية..... إلى غير ذلك. ومع ذلك فقد كان أصل تأليفه— بفضل الله تعالى وتيسيره—اقتراحاً في كليمات يسيرة، وإليك الخبر: الإمام إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي، المعروف بـ«ابن راهوية» من أئمة السُنَّة والحديث ومن مشائخ الإمام البخاري، قال البخاري: كنا عند إسحاق بن راهوية فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح». وللفائدة ذكر بعضهم أسباباً أخرى لكن مقولة اسحاق هي صاري السفينة في ذلك.

المثال الثاني/ (الإمام الذهبي رحمه الله تعالى كان في أول طلبه للعلم يقرأ في التاريخ و يكتب، فرأى الإمامُ البرزاليُّ خَطَّ الذهبي، فقال: إن خطك هذا يشبه خط المحدثين، فقال الذهبي: فحبب الله إليَّ علم الحديث) فانظر كيف أثرت كلمة الإمام البرزالي في نفس الإمام الذهبي لقد أصبح بفضل الله تعالى من أئمة الجرح والتعديل حتى قال عنه تلميذه السبكي: أستاذنا أبو عبدالله ...إمام الوجود حفظاً وذهب العصر معنى ولفظاً وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جُمِعَتْ الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها.

المثال الثالث/ أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، الملقب بمطين، (قال جعفر الخلدي: قلت لمطين: لم لقبت بهذا؟ قال: كنت صبياً ألعب مع الصبيان، وكنت أطولهم، فنسبح ونخوض، فيطينون ظهري، فبصر بي يوماً أبو نعيم، فقال لي: يا مطين، لم لا تحضر مجلس العلم؟ فلما طلبت الحديث مات أبو نعيم، وكتبت عن أكثر من خمس مائة شيخ).

المثال الرابع/ القاضي أبو خالد محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقص، روى الخطيب البغدادي في كتابه – الفقيه والمتفقه– (عن محمد بن القاسم بن خلاَّد قال: كان الأوقص قصيرًا دميمًا قبيحًا، قال: فقالت لي أمي وكانت عاقلة: يا بني، إنك خُلِقْتَ خِلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان، فعليك بالدِّين؛ فإنه يُتِمُّ النقيصةَ، ويرفع الخسيسة. قال: فنفعني الله بقولها، فتعلمت الفقه؛ فصرت قاضيًا).

** (وفي رواية عن أبي إسحاقَ إبراهيم بن إسحاق الحربي قال: كان عُنُقُ محمد بن عبد الرحمن الأوقص داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان، فقالت له أمه: يا بني إنك لا تكونُ في قوم إلا كنتَ المضحوكَ منه المسخورَ به، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك، قال: فطلب العلم، فوُلِّي قضاءَ مكة عشرين سنة. قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرْعَد حتى يقوم) .

المثال الخامس / حدثني عبدالعزيز بن الشيخ ناصر بن متعب الشغار رحمه الله تعالى: أن والده حضر مجلساً من مجالس الملك فهد رحمه الله تعالى وكان في المجلس رجال لهم علاقة بطبع المصاحف في بلادهم، وكان من ضمن

الحديث، سؤال الشيخ الشغار للملك فهد: أين كان نزول القرآن؟ فقال الملك فهد رحمه الله تعالى: القرآن نزل في مكة والمدينة. فقال له الشيخ ناصر: لماذا يطبع في غيرهما، وهو نزل عندنا في مكة والمدينة، فوقع ذلك الأمر في نفس الملك فهد، ثم أصدر الأمر الملكي بإنشاء مطبعة الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، فقل لي بربك: كم حصل من الخير العظيم العظيم بفضل الله تعالى ثم بفضل مشورة الشيخ ناصر الشغار ومبادرة الملك فهد؟! رحمهما الله تعالى، وجمعهما في فردوسه الأعلى.

وعوداً على بدء، لا تدّخِر جهداً في تقديم ما تستطيع، وقد قرأت الشواهد السابقة التي كان سببها بعد توفيق الله تعالى، كليات يسيرة لكنَّ آثارها عجيبة وأحسب أنَّ أجورها عند الله تعالى عظيمة، ومن باب قول الله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ أُحَدِثك عن أمر **فضيلة الشيخ**، فأقول: من عجيب الموافقات بتقدير الله تعالى، أنني في أثناء كتابتي لهذه الوصية — وعند الحديث عن الاقتراح بالذات— وصلني خبر بإتمام دراسة مشروع اقترحته في كليات ثم طرحته من خلال حسابي في وسائل التواصل من بضع سنين، وقبل مدة يسيرة اتصل بي أحد الفضلاء وأخبر أنه سيتبنى اقتراحي وسيقوم بتحقيق المشروع وشكرته على ذلك، وليلة البارحة أثناء كتابتي لهذه الوصية لك وصلتني رسالته بانتهاء دراسة المشروع وإعداد مذكرة تشمل جميع متطلباته فلله الحمد من قبل ومن بعد ، ولأنّي أحسب أن المشروع سيدخل السرور عليك سأذكره لك، فأقول: [كنت ولا أزال بين حين وآخر أقرأ وأسمع عن أحد الناس تارة رجلاً وتارة امرأة وأحياناً عن جهة تارة منظمة وتارة رابطة وتارة مؤسسة في غير بلاد المسلمين لهم جهود مشكورة في الدفاع عن قضايا للمسلمين في بلادهم مرّة عن القرآن ومرّة عن نبي الإسلام صلى الله عليه و سلم ومرّة عن حقوق لأقليّات إسلامية وغير ذلك مما يُفرَحُ به، وكنت ولا أزال أتمنى أن أصل إلى ذلك الشخص أو تلك الجهة حتى أقدّم الشكر لهم مصحوباً بهدية، تُسَمَّى هدية أو (جائزة الشكر) أو (رد الجميل) أو (رد المعروف)، وهناك أسماء أخرى مقترحة، وأحسب أنَّ هذا العمل من السياسة الشرعية ومن التعامل النبوي المتمثّل في قوله صلى الله عليه و سلم: "من صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه" ولكن يصعب عليَّ هذا كجهد فردي مستقل، وبخاصة أن له نظائر سابقة ولاحقة، ومن هذا المنطلق:

اقترحت أن تتولى جهة رسمية تبنّي هذا المشروع والعناية به، وقمت بمراسلة بعض الجهات الخيرية وتحدثت مع كثير فأيّدوا المقترح وأثنوا خيرًا] وبحمد الله تعالى تبنّى ذلك أحد الفضلاء كما تقدّم وقام مع فريق معه في صياغة مشروع ذلك المقترح، وبعدما تمت الصياغة النهائية تمَّ إرسال الملفّ إليَّ للاطلاع- إنْ كان ثمةَ ملحظ- قبل الإرسال للجهات الرسمية. الله تعالى أسأل أن يجعل هذا المشروع مفتاح خير للإسلام والمسلمين ... آمين.

هذا خبر ذلك المقترح، أوردته لك شاهداً حيّاً، بل وبالسند العالي من صاحبه ليكون أبلغ في الدلالة على وصيتي لك.

الوصية الرابعة والثلاثون/ فضيلة الشيخ اجعل لك حظاً من زيارة المرضى فزيارة مثلك لها أثر نفسي وبدني على المرضى ناهيك عن الأجر المترتّب على الزيارة، فالمريض يأنس ويفرح بمن زاره ولو كان الزائر من آحاد الناس الذين لا يعرفهم، فكيف إذا زاره من يعرفهم، فكيف بزيارة إمام الحرم، وإنَّ من نِعم الله تعالى على عبده أن يحببه إلى الناس.

فائدة: بعضهم يزهد في زيارة المرضى وبخاصة إذا كان المريض لا يدرك، وإن مما يحسن ذكره في هذا المقام ما بَوَّبَهُ الأمام البخاري رحمه الله تعالى بقوله: [باب عيادة المغمى عليه] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (ومجرَّد علم المريض بعائده لا تتوقَّف مشروعية العيادة عليه؛ لأنَّ وراء ذلك جبْرَ خاطرِ أهله، وما يُرجَى مِن بركة دعاء العائد، ووضع يده على المريض، والمسح على جسَدِه، والنَّفث عليه عند التعويذ، إلى غير ذلك) انتهى كلام الحافظ.

فانظر رعاك الله تعالى إلى عظيم خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعود المرضى المغمى عليهم مع عدم إدراكهم لحضوره، وصدق الله العظيم في وصفه لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾.

الوصية الخامسة والثلاثون/ أوصيك بالفقراء فرحمتهم والترفّق بهم وإدخال السرور عليهم بحسن معاملة معهم وبذل صدقة لهم يحصل به مفاتح خير عظيمة من أعظمها أبواب ثلاثة:

الباب الأول/ حصول رحمة الله تعالى، يؤكّد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى؛ ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ".

الباب الثاني: حصول الرزق.

الباب الثالث: حصول النصر. ويؤكِّد هذين الأمرين، قوله صلى الله عليه وسلم: "ابغوني الضُّعفاءَ، فإنَّما تُرزقونَ وتُنصرونَ بضعفائِكُمْ"، فالفقير إذا تذكّر وشعر أنه محتاج إلى مساعدة الناس له وتخلّى عنه أولئك الناس في مجتمعه وشعر بزيادة مسغبته وفاقته وفقره، ثم جاء متصدِّق عليه فأعطاه، فإنَّ غالب حال الفقراء تلك اللحظة: الدعاء لذلك المتصدِّق بصدق نيّة ومحض إخلاص. ومن باب التوسّع العلمي أذكر هنا **فائدتين:**

الأولى/ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**﴾.

الثانية/ كان سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى رحيماً حَفِيّاً بالفقراء، وكثيراً ما يذكر الحديث المتقدم: "ابغوني الضعفاء ..."، ومن عنايته ورحمته للفقراء، ومما أعجبني في هذا المقام قول أحد أهل العلم: الفقير في بيت الشيخ ابن باز: عزيز.

الوصية السادسة والثلاثون/ فضيلة الشيخ، القطيعة والتشاحن بين بعض الناس لا يخلو منها أي مجتمع، وهذا أمر معروف ومألوف مع سوء ضرره وآثاره، إلا أنَّ الأشد ضرراً وآثاراً عدم سعي بعضهم للإصلاح مع قدرتهم وكل ذلك بدعوى عدم التدخّل في شئون الآخرين، أو خشية اتهام أحد الطرفين بتحيّز هذا المصلح للطرف الآخر، أو غير ذلك من العلل، ولا يخفى مثلك فضل وفضيلة السعي في الإصلاح بين الناس ويزداد هذا تأكّداً في حال كون الخصومة بين القرابة، الشاهد من الكلام أنَّ المتخاصِمَين أو المتخاصِمِين إذا تدخّل للإصلاح بينهم من له مكانة في المجتمع، فإن ذلك يؤثِّر في نفوسهم فكيف بإمام الحرم! لذا **فضيلة الشيخ،** احرص جاهداً على توظيف وتسخير هذه المنزلة الرفيعة في ذلك الأمر وغيره من أبواب الخير، ففي الصلح مصالح متعددة ومنافع كثيرة ﴿**وَالصُّلْحُ**

خَيْرٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم:" كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ..."، وأسوق لك رعاك الله تعالى شاهدًا نبوياً عظيماً في هذا الباب يؤكِّدُ عناية النبي صلى الله عليه وسلم في السعي للإصلاح بين الناس أخرج البخاري في الصحيح عن أَبي العباس سهلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللهُ عنه،" أَنَّ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بلَغهُ أَنَّ بَني عَمْرِو بن عوْفٍ كَانَ بيْنهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يُصْلِحُ بَيْنَهمْ فِي أُنَاسٍ مَعَه....."انتهى الشاهد من الخبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: (فهذا الحديث العظيم في قصة إصلاح النبي ﷺ بين بني عمرو بن عوف، وبنو عمرو بن عوف من جملة الأنصار، حصل بينهم شنآن ونزاع، فخرج إليهم النبي ﷺ للإصلاح بينهم، فهذا يدل على أنه ينبغي لولي الأمر ولأعيان الناس إذا حصل نزاعٌ بين بعض القبائل أو بعض البيوتات أن يصلح بينهم، وإذا تقدم من خواصِّ المؤمنين مَن يقوم بذلك كان ذلك أيضًا مشروعًا؛ فإنَّ الإصلاح بين الناس من القربات، قال تعالى: **﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾** وقال: **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** فالإصلاح بين الإخوة، أو بين القبيلة، أو بين القبائل، أو بين الجيران، أو بين الأقارب؛ كله طيب ومطلوب، وفيه فضل كبير، فيُشرع لكل مؤمنٍ -ولا سيَّما أهلُ الحل والعقد ومَن يُسمع له- التوسط للإصلاح كما فعله النبي ﷺ بين بني عمرو بن عوف).انتهى المراد من كلام سماحة الشيخ.

عوداً على بدء: سعي وتدخّل إمام الحرم للإصلاح بين المتخاصمين- إذا قدَّر المصلحة في ذلك-، قد يرفع التشاحن بينهم سريعاً، ذلك لما آتاه الله تعالى من المكانة والتقدير في قلوب الناس، ومن بوادر توفيق الله تعالى لعبده أن يُهيأ ويُسَخر له من الأسباب ما يجعل العسير يسيراً والبعيد قريباً والمتفرق مجتمعًا، **﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾**، **﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾**.

فائدة: كنت راكباً مع سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في سيارته، فسألته عن أسباب محبة الناس له فذكر أن مما يحسبه من الأسباب: أنه لا يعلم بين اثنين شحناء إلا سارع للصلح بينهما.

الوصية السابعة والثلاثون/ ثناء الناس على المرء ومدحهم له، إن زاده تواضعاً لله تعالى فذلك من عاجل بشراه، جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عليه؟ —وفي روايةٍ: وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عليه— قالَ: "تِلكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ". وإمام الحرم له نصيب كبير من محبة الناس وثناؤهم عليه، جعل الله تعالى ذلك من عاجل بشراك، لكن مما ينبغي أن يُفطَنُ له في هذا المقام: أمرٌ لبّس به الشيطان على بعضهم- أعاذك الله تعالى وحماك من ذلك - وأعني بذلك أنَّ بعضهم إذا كثُر مدحُ الناس وثناؤهم عليه رأى في نفسه أنه بلغ الكمال أو قارب، ومن نتائج ذلك، أنه يأنف أو يتثاقل من سماع نصحٍ له أو ملحظٍ عليه، وهذا من أبواب الخذلان فليتفطَّن صاحب العلم إلى هذا وليكن على حذر من هذا المزلق وما أحسن قول القائل: (العاقل من عرف نفسه ولا يغره مدح من لا يَخْبُرُها)، وليعلم أيضاً أن مدح الناس وثناؤهم عليه لا يخلوا من أمرين أثنين، **الأول**/ أن يكون دافعاً، **الثاني**/ أن يكون مانعاً، يكون دافعاً إلى الخير إذا صَدَقَ الممدوحُ في شكر الله تعالى على ما أنعم عليه ثم زاد مضاعفة الجهد ابتغاء مرضاة الله ثم نفع عباده والتواضع لهم، ويكون مانعاً من الخير إذا جعل مدح الناس مطية له إلى التصدُّر ثم الترفُّع على الآخرين وتصعير الخدِّ لهم، ومن أشهر ما يُذْكَرُ من الشواهد في هذا الباب: الأثر المعروف عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، عندما مدحه قوم و أثنوا عليه، فقال :(اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم فاجعلني اللهم خيراً مما يحسبون ولا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي برحمتك ما لا يعلمون)، فانظر رعاك الله تعالى إلى تلك الكلمات النفيسة الصادقة من الصديّق رضي الله تعالى عنه وكيف أنه تذلَّل لله تعالى واعترف بتفويض الأمر إلى من هو أعلم به من نفسه وسأله تعالى الزيادة من فضله وعدم مؤاخذته بذلك المدح ثم سأل الله تعالى المغفرة عن ما لا يعلمه المادحون عن سريرته، مع أنَّ الله تعالى زكّاه واصطفاه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، بل وجعله أخصَّ أصحابه به و خليفته من بعده، ومع هذا يقول ذلك الكلام عندما مدحه قوم، مع أنه حقاً وصدقاً فوق ما قالوه، ﴿ **بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ**﴾، ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾.

ولعلي أجعل (خاتمة) كلامي عن بعض فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بما جعله أبو نعيم الأصبهاني (فاتحة) كلامه عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في كتابه حلية الأولياء، قال أبو نعيم رحمه الله تعالى: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، السَّابِقُ إِلَى التَّصْدِيقِ، الْمُلَقَّبُ بِالْعَتِيقِ، الْمُؤَيَّدُ مِنَ اللهِ بِالتَّوْفِيقِ، صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ، وَرَفِيقُهُ الشَّفِيقُ فِي جَمِيعِ الْأَطْوَارِ، وَضَجِيعُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الرَّوْضَةِ الْمَحْفُوفَةِ بِالْأَنْوَارِ، الْمَخْصُوصُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِمَفْخَرٍ فَاقَ بِهِ كَافَّةَ الْأَخْيَارِ، وَعَامَّةَ الْأَبْرَارِ، وَبَقِيَ لَهُ شَرَفُهُ عَلَى كُرُورِ الْأَعْصَارِ، وَلَمْ يَسْمُ إِلَى ذُرْوَتِهِ هِمَمُ أُولِي الْأَيْدِ وَالْأَبْصَارِ، حَيْثُ يَقُولُ عَالِمُ الْأَسْرَارِ: ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾[التوبة: ٤٠] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ، وَمَشْهُورِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي غَدَتْ كَالشَّمْسِ فِي الِانْتِشَارِ، وَفَضَلَ كُلَّ مَنْ فَاضَلَ، وَفَاقَ كُلَّ مَنْ جَادَلَ وَنَاضَلَ، وَنَزَلَ فِيهِ: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ** ﴾ [الحديد: ١٠]. تَوَحَّدَ الصِّدِّيقُ فِي الْأَحْوَالِ بِالتَّحْقِيقِ، وَاخْتَارَ الِاخْتِيَارَ مِنَ اللهِ حِينَ دَعَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ، فَتَجَرَّدَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، وَانْتَصَبَ فِي قِيَامِ التَّوْحِيدِ لِلتَّهَدُّفِ وَالْأَغْرَاضِ، صَارَ لِلْمِحَنِ هَدَفًا، وَلِلْبَلَاءِ غَرَضًا، وَزَهَدَ فِيمَا عَزَّ لَهُ جَوْهَرًا كَانَ أَوْ عَرَضًا، تَفَرَّدَ بِالْحَقِّ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْخَلْقِ).

الوصية الثامنة والثلاثون/ فضيلة الشيخ، لا يخفاك أنَّ كل إنسان مُعَرّض للنقد ولو كان في جوف بيته، فكيف إذا كان مع اثنين أو ثلاثة من الناس، فقل بربك: كيف يكون شأنه إذا كان محط أنظار الملايين من الناس، ولا يخفاك أيضاً أنّ النقد يختلف بحسب النيات والمقاصد، ورحم الله تعالى الإمام مالكاً عندما سأل مطرف بن عبدالله فقال له:((ما يقول الناس فيَّ؟ فقال مطرف: أما الصديق فيثني عليك، وأما العدو فيقع فيك، فقال مالك: ما زال الناس كذلك ولكن نعوذ بالله من اتفاق الألسنة كلها)) فإذا الإمام مالك وهو في تلك المكانة الرفيعة والمنزلة المهيبة له مادح وعليه قادح، فما القول فيمن دون مالك!

فأحكام الناس على الفرد تختلف حسب اختلاف مشاربهم ومقاصدهم، **الشاهد من المقال في هذا المقام يا فضيلة الشيخ**، قد يأتيك شامت حاقد فادع له بالهداية وإن رأيت الحكمة والمصلحة في زجره لردعه فافعل، وسيأتيك ناصح فمثل هذا افتح له صدرك قبل بيتك واسمع ما لديه فإن كان مصيباً في نصحه فتقبّل نصحه واشكره، وإن

كان مخطئاً في نصحه فبيّن له وأعذره، ومن الموافقات والعجائب في هذا: أنَّ الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى، سألني نفس السؤال الذي سأله الإمام مالكُ مطرِّفاً فقلتُ له قولاً شبهَ مطابقٍ لقول مطرّف، والأعجب أيضاً: أنَّ جواب الشيخ محمد كان شبه مطابق لقول الإمام مالك، فرحم الله تعالى أئمتنا المتقدمين والمتأخرين فقد كانوا على سَنَن واحدة وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط العزيز الحميد.

الوصية التاسعة والثلاثون/ أوصيك: اجعل للخلوة مع نفسك حظاً من يومك أو أسبوعك ... أو ما تراه مناسباً، ففي الخلوة تفقُّد للنفس ومحاسبة لها، ومحاسبة النفس بعد توفيق الله تعالى، من أنفع الأمور لمعرفة مكامن النقص والخطأ، وإنَّ مما يعين على محاسبة النفس بصدق: اختيار وقت مناسب يكون فيه المرء خالياً من الطوارق والشواغل؛ لأنَّه كل ما كان بعيداً عن ما يشغل فكره كان أكثر استجماعًا لمشاعره وأحاسيسه، كانت نفسه أكثر تقبّلاً لمعرفة مواضع النقص أو الخلل أيّاً كان نوعه، ولعل من أحسن أوقات محاسبة النفس إذا خلا المرء بنفسه عند فراشه للنوم، فقد نقل التنوخي عن الفضل بن يحي أنه قال:(الرجل ينبىء عما في نفسه في ثلاثة مواضع، - وذكر منها—: إذا اضطجع على فراشه ....) إلى آخر ما نقل رحمه الله تعالى، ومن سديد أقوال الإمام بن القيم في هذا المقام قوله:(...يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه من يومه ثم يُجَدِّد له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويفعل هذا كل ليلة) انتهى الشاهد من كلامه رحمه الله تعالى.

ومن الأمور التي تعين على محاسبة النفس وتفقّدها أخذ العبرة والاستفادة من أخطاء الآخرين وذلك بمعرفة الأسباب الجالبة للخطأ الذي وقعوا فيه فإن كان الخطأ قريباً منه اتقاه واجتنبه، وإن كان بعيداً أخذ بجانب الحذر منه حتى لا يقع كما وقعوا.

ومما يعين على أمر محاسبة النفس ومعرفة مكامن الخطأ والنقص: استنصاح من تثق بدينه وخلقه وعقله فإن مثل هؤلاء يفرح بصحبتهم ومشورتهم ومناصحتهم، وكما قال صلى الله عليه وسلم:" المؤمن مرآة أخيه".

الوصية الأربعون/ ما يتعلق بحقوق الأهل والأولاد، فبعض الناس قد يُقَصِّر في حق أهل بيته، وخاصة إذا تولَّى منصباً، ويتعذَّر ويتذَّرع بكثرة مشاغله ومناشطه الدعوية المتنوّعة وأنه لا يستطيع التوفيق بين مسؤولية البيت وتلك المشاغل والمناشط، وبعضهم يُعَلِّلُ لتقصيره: بأنَّ تلك المشاغل والمناشط وقضاء حوائج الناس نفعها متعدٍ، وحوائج بيته نفعها قاصر، والنفع المتعدي يُقَدَّمُ على النفع القاصر، وهذا التعليل على إطلاقه عليل، فتقديم النفع المتعدي على النفع القاصر ليس مطلقاً في كل حال، ولشيخ الإسلام وغيره كلام في هذا المقام وليس موضع سياقه هذا المقال، وعوداً على بدء، يقال: أحسب أنَّ تعليله وتبريره ذاك من باب التماس المعاذير لتغطية تقصيره وترميم نقصه وسوء تنظيم وترتيب أوقاته، ولدفع هذا التكلّف والتبرير المردود ، يُقَال في هذا المقام: الإسلام دين الترتيب والتنظيم والنبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس تنظيماً لأشغاله وترتيباً لأوقاته مع عظيم مكانته وعِظَمِ أمانة تبليغ الشريعة وكثرة وتَنَوُّعُ مسؤولياته ومشاغله، فقد كان صلى الله عليه وسلم: يُبَلِّغُ الوحي ويعلِّم الناس ويُفتي السائلين من المسلمين وغير المسلمين ويؤمُّ الناس في الجمعة والجماعة ويستقبل الوفود ويترأس الجيوش ويقيم الحدود يقسم الغنائم ويُفَرِّقُ الصدقات ويَسِمُ إبل الصدقة، ويكرم الضيف ويجيب الدعوة ويقبل الهدية ويثيب عليها ويصلح بين الناس ويشفع لطالب الشفاعة ويمشي مع صاحب الحاجة لقضاء حاجته ويعود المرضى من المسلمين وغير المسلمين ويرقي العليل ويشيع الجنائز ويزور المقابر ويداعب الصغار ويحنكهم ويدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوس الأيتام ويزور أصحابه في بيوتهم وبساتينهم ويخرج إلى التلاع (مسيل الماء وقت الأمطار) ويخلو أحياناً بنفسه في أماكن بعيدة عن الناس، وكان في بيته يخدم نفسه فيحلب شاته ويخصف نعله ويخيط ثوبه ويرقع دلوه... إلى غير ذلك مما جاء في كتب السير والشمائل وغيرها ناهيك عن عباداته المنزلية وترويحه عن نفسه بمسابقه ومصارعة بعض أصحابه ورؤيته لهم وهم يتمازحون، وحضوره لسباق الخيل الْمُضَمَّرَة وغير الْمُضَمَّرَة — والمراد بالْمُضَمَّرة: التي أُعْلِفَتْ حتَّى سَمِنتْ وقَوِيَتْ ثمَّ قُلِّلَ علفُها بقَدْرِ القُوتِ وأُدخِلتْ بيتًا وغُشِّيَتْ بالجِلَالِ، أي: بالغطاءِ، حتَّى حمِيتْ وعرِقتْ، فإذا جفَّ عرَقُها خفَّ لحمُها وقَوِيتْ على الجري — إلى غير ذلك مما يصعب ذكره فضلاً عن حصره واستقصائه من تلك الأعمال النبوية التي لو قُسِّمت على سبعين لوسعتهم بل قد تزيد عليهم

فيُزاد عليهم، والعجيب في أمره صلى الله عليه وسلم، أنه مع كثرة هذه الأمور وغيرها، كان عنده تسع زوجات وقيل أكثر، والأعجب في هذا كله، قوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي". فانظر **فضيلة الشيخ** ما ذكرتُ لك في هذا السياق ويكفي قليلٌ منه شاهداً ودليلاً فكيف بجميعه!!، ومن باب التوسّع العلمي سيأتي بعده شواهد عن سلفنا رحمهم الله تعالى في هذا المبحث، ولك أن تحكم على من أهمل أو قصَّر في شأن أهله وبيته وعلّل أو تعلّل وتعذَّر بكثرة مشاغله، ومما يحسُنُ قوله للمقصِّر المهمل بعد هذه الشواهد النبوية: قول الشاعر المتنبيء: [.. .....:: فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ]، وأحسن من قول الشاعر، قول رب الشاعر: ﴿**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾.

الوصية الحادية والأربعون/ فضيلة الشيخ، أخّرت هذه الوصية للعناية بها لعظيم شأنها، فأقول : جعلك الله تعالى مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، الحرمان المكي والمدني شرَّفهما الله تعالى وملحقاتهما الخدمية وما يكون فيهما من متعلقاتهما، أشبه بالمدينتين الصغيرتين في مبناهما والكبيرتين العظيمتين في محتواهما، وقد قام ويقوم على بنيان تلك المدينتين صنفان من الناس أهل الحكم وأهل العلم أما أهل الحكم فوظيفتهم البناية الحسية ويشهد العالم أجمع أن ولاة الأمر في بلدنا قد قاموا بالبناية والرعاية الحسية ولا يزالون يقدمون لبناية الحرمين أفضل الأشياء وأحسنها بغض النظر عن قيمتها ناهيك عن العناية بجميع المشاعر وهذا كما تقدم يشهد به العالم صديقهم وعدوهم جزى الله ولاة الأمر خيراً على ما قدموا ويقدمون وأما أهل العلم فوظيفتهم البناية والرعاية العلمية وأنت الآن معدود منهم جعلك الله مباركاً أينما كنت فاستعن بالله ولا تعجز واجتهد في قوة المشاركة والإتقان في البناية والرعاية العلمية وقد ذكرت لك هذا سابقاً ولكن كررته عليك من باب التأكيد؛ لأنَّ التكرار من أساليب العرب عند إرادة الاهتمام والعناية بالشيء، والشاهد هنا تذكر أنَّ مثل هذا الشأن لا يخلو من ملحظ أو اقتراح، فاحرص رعاك الله تعالى على النظر إلى ذلك بعين البصيرة قبل عين البصر وأعني بذلك ما يتعلّق بالأمور العقدية خاصة، فقد يحصل من بعض الناس في قادم الأيام من يُحدِثُ في الحرمين شيئاً من البدع أو يفتح باباً للبدع بسبب جهالةٍ مصحوبةٍ بحُسنِ نيّةٍ وطِيبِ طوِيَّةٍ، أو بسوء نيّة مصحوبة بخبث طوِيَّة وبغض النظر عن قصده — هداه الله تعالى— يُقَال

هاهنا: تجاهل مثل هذا والتغافل عنه يزيد في اتساع دائرة الضرر حتى يتمكّن بل ويتجذَّر وهنا تَكْمُنُ المصيبةُ ويصعب رفعها بعد أن كان يمكن دفعها، لكنَّ مع التأخير والتسويف يُصَعِّب التعديل والتغيير، ولذا من سديد قول أهل العلم رحمهم الله تعالى: (الدفع أسهل من الرفع) وبكل حال فالشاهد ومحط الركب وبيت القصيد هنا رعاك الله تعالى، أنَّ ذمة صاحب العلم ترتهن وبخاصة من له قُدْرَةٌ دون مضَرَّة أكبر، ولا تنفك إلا بالمبادرة والحرص على النصح والبيان للمسئول مقابلة أو مهاتفة أو مكاتبه، كل ذلك بعلم وحكمة وتَرَفّقٍ مع الجهة المعنيَّة لهذ الشأن، وإذا كان التنويه والتنبيه صادراً من إمام الحرم، فذلك- بتوفيق الله تعالى- مما يُقَرِّبُ البعيد ويجمع المتفرِّق ويرأب الصدع ويعالج الخلل في قليلِ وقتٍ، الشاهد: أنَّ مكالمةً أو مشافهةً أو مكاتبةً من إمام الحرم قد تؤثِّر وتغيِّر ما لا تؤثِّره ولا تغيّره عشرات المكالمات والمكاتبات من غيره، ومن باب التأكيد مرةً أخرى، بورك فيك ، أوصيك رعاك الله تعالى بالعناية التامة في المحافظة على أمور التوحيد والحذر والتحذير والتنبيه لقوادحه القولية والعملية متى ما شممتَ رائحة ذلك أو رأيت سرابه، ويضاف إلى ذلك ما تراه من مقترحات أو ما حدَّثَك أو يُحَدِثُكَ به عقلاء الناس من إبداء مقترحات أو ملحوظات تتعلّق بالحرمين، فبادر بإيصالها، فكم من فكرة ومقترح عَمَّ نفعُهُما وأصبح ركناً رئيساً بعد أن كان كلاماً عابراً، ولا يخفاك بارك الله تعالى فيك أنَّ ولاة الأمور خصوصاً حفظهم الله تعالى ووفّقهم وبارك في جهودهم والمسؤولين في الرئاسة عموماً وفقهم الله تعالى يفتحون صدورهم قبل بيوتهم ومكاتبهم في سماع وقراءة أي ملحظٍ يؤثِّرُ على قدسية الحرمين ومكانتهما حسيَّاً أو معنوياً ويأخذون ذلك مأخذ الجد والعناية والاهتمام، زادهم الله تعالى سداداً في القول وصواباً في الفعل...آمين.

فائدة: سمعت أن الشيخ أبابكر الجزائري رحمه الله تعالى قال في درس له في المسجد النبوي: بأنَّ أحد الحاضرين في الدرس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وسمعه يقول: بشروا الملك فهد بأنه سيلقى عند الله خيراً كثيراً بسبب أمرين اثنين: توسعة الحرمين، ومطبعة المصحف، قلت: إنْ صحَّ الخبر، فأَظُنُّ أنَّ الشيخ الجزائري رحمه الله تعالى هو صاحب الرؤيا، رحم الله تعالى الملك فهد والشيخ الجزائري والرائي وجعل مثواهم الفردوس الأعلى.

فائدة: عندما كنت في المرحلة الابتدائية تكلم أحد المدرسين بعدما شاهد الحرم المكي فقال: إن بناية الحرم المكي هي العجيبة الثامنة بعد عجائب الدنيا السبع، قلتُ: وكلامه هذا كان في عهد الملك فيصل رحمه الله تعالى، ولو رأى ذلك المدرس —رحمه الله تعالى حيّاً كان أو ميتاً— بناية الحرم في هذا الوقت لجعله أول عجائب الدنيا.

الوصية الثانية والأربعون/ فضيلة الشيخ بارك الله تعالى في جميع أمورك لا تستكثر ما أوصيتك به فإن ربنا تعالى يعين عبده ويطرح البركة في أموره، فإذا حرص العبد على سلامة النية وطيب الطويّة وبذل جهده فسيرى من تيسير الله تعالى له في قضاء الأشغال الكثيرة في الأوقات اليسيرة، وسأضرب لك مثالين عن سلفنا وأئمتنا، وكيف كانت كثرة أمورهم تتقضّى- بعد توفيق الله تعالى- بصادق هممهم وعزائمهم في أوقات يسيرة:

المثال الأول/ عن أئمتنا المتقدمين:

-قال حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلاّ علمت أنها من المصائب التي أسأل الأجر عليها.

-وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى يأتي المسجد فيشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابه.

- وكان عمرو بن الحارث المصري رحمه الله تعالى يخرج من داره فيرى الناس صفوفاً يسألونه عن القرآن والحديث والفقه والشعر والعربية والحساب.

المثال الثاني/ عن أئمتنا المتأخرين فنحن نرى في مجتمعنا آحاداً من أهل العلم يقومون بأعمال جماعات وعلى رأس أولئك الثُلَّة المباركة: الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى، فهذا الإمام لو قسّمت أعماله على سبعة لكفتهم بل ربما ثَقُلَتْ عليهم، يشهد بهذا طلابه ومحبوه ومن يزورونه فرادى وجماعات يتعجبون من بركة وقته مع كثرة مشاغله ووهن عظمه ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾، وقد قرأت فائدة نفيسة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ونَصُّها: (فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحَدَّ وأسَدَّ عقلاً، وأنهم ينالون في

المدة اليسيرة من الحقائق والعلوم أضعاف ما ينالهم غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث يجدهم كذلك متصفين — في بعض النسخ: متمتعين — وذلك؛ لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه) انتهى كلامه رحمه الله.

ومن باب القياس الأولى على هذا، يُقَال: إنَّ الله تعالى يجمع لأهل الإسلام وخاصة أهل السنة والحديث قضاء الأشغال الكثيرة في الأوقات اليسيرة، فاستعن بالله رعاك الله تعالى لا تعجز، وأبشر من الله تعالى بما يطمئن قلبك ويشرح صدرك ويُقِرُّ عينك.

ختاماً: الله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلك مباركاً أينما كنتَ وأن ينفعك وينفع بك ومعذرة من الإطالة، وأحسبُ أن سعة صدرك وحسن خلقك يشفع لي في طول مقالي نفع الله تعالى به الكاتب والمكتوب له ومن بلغ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم وأخوكم/

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١٧/ ٦/ ١٤٤٦هـ

في محافظة شقراء